الكتاب الثاني

علاقة مصر بالغرب والروم

١ — أثر العوامل الطبيعية فى حضارة الاغريق

(هذا الفصل خاص بطلبة الأزهر وليس مقرراً على طلبة المدارس)

(١) التقسيم السياسى

بلاد الاغريق الحقيقية هى الجزء الضيق الجنوبى من شبه جزيرة البلقان ، ورغم صغر مساحته فان الجبال الكثيرة ساعدت على تقسيمه إلى عدة أقسام صغيرة ، ولما كان من الصعب عبور هذه الجبال فقد سار كل قسم فى سبيل الرقى والتطور مستقلا عن غيره ، وعلى هذا نشأت حكومات عديدة وصعب نشوء شعب موحد له حكومة واحدة .

(٢) الملاحة

وساحل بلاد اليونان كله تعاريج وفجوات صالحة لرسو السفن ، أضف إلى ذلك وجود الجزر المبعثرة فى بحر الايونيان فى الغرب وبحر ايجا فى الشرق . ثم إن ارخبيل إيجا يتصل بالساحل الشرقي لآسيا الصغرى حيث كان يعيش قوم من الجنس اليونانى ، لهذا كله لم يكن غريبا أن يشتغل اليونان بحكم موقع بلادهم بالتجارة والملاحة والاستعمار .

(٣) المناخ والتربة

وفوق هذا فالمناخ معتدل والأرض خصبة والمناظر ساحرة جميلة ، لذا كانت بلاد اليونان بطبيعتها مرتعا خصبا لقيام جنس متحضر ترك من بعده مدنية خالدة هى التى أخذت عنها أوروبا الحديثة أصول نهضتها وقواعد تمدنها .

٢ — مواطن الاغريق الاولى

(هذا الفصل خاص بطلبة الأزهر وليس مقرراً على طلبة المدارس)

أصل الاغريق

(١) الايجيون

لم يكن الاغريق أول من سكنوا شبه الجزيرة المسماة باسمهم ، بل سكنها قبل الميلاد بأكثر من عشرين قرنا قبائل من الجنس الايجى تحضروا وابحروا إلى مصر وغيرها وأقاموا المدن ونظموا الجيوش .

(٢) الاريون

وأخيراً نزح من الأجزاء المحيطة ببحر قزوين قوم من الجنس الآرى الذى ينتمى إليه معظم شعوب أوروبا وبلاد الهند وكانوا أقل فى تمدنهم من الايجيين ، استولوا بالتدريج على ساحل آسيا الصغرى وجزائر ايجا وأراضى أوروبا الوسطى ، ثم اختلطوا بالايجيين فنشأ من تناسلهم الشعب اليونانى أو الهلينى الذى تناوله التاريخ .

أشهر القبائل الآرية

ولم يحتل الآريون شبه الجزيرة دفعة واحدة بل جاءت قبائلهم متفرقة تسعى وراء الرزق ، وكانت أقدم القبائل استيطانا لبلاد الاغريق قبيلة الآخيين وتلتها قبيلة الدوريين الذين قدموا إلى بلاد الاغريق قبل الميلاد بأكثر من خمسة عشر قرنا وأسسوا مدينة اسبرطة العظيمة ، وبعد هذا بما يقرب من أربعة قرون جاءت قبائل الأيونيين ، وانتشر الجميع فى أنحاء شبه الجزيرة

والجزر المحيطة بها .

أثر الحضارات الأخرى

وقد تأثر الشعب الهيليني بحضارة كريد التي يقول المؤرخون إنها مستمدة من حضارة الفراعنة لوجود تشابه بين لغة كريد واللغة الهيروغليفية . كما أن الأغريق استفادوا أيضا من الفينيقيين فنقلوا عنهم حروف الهجاء وصناعة السفن وركوب البحار

« أثينـــا »

« أثينا » هي الهة الحكمة عند اليونان ، وكان الرومان يسمونها « مينرفا ـ *Minerva* » وهي ابنة كبير الآلهة (زوس) وأمها (متيس) ويروي في أساطير الأغريق أن الاله (زوس) ابتلع أمها قبل ولادتها وأن (أثينا) خرجت بعد ذلك من رأسه وفي يدها سلاحها .

٣ — هوميروس والجامعة الهلينية

(هذا الفصل خاص بطلبة الأزهر وليس مقرراً على طلبة المدارس)

الالياذة والأودسا

لسنا نجد وصفا للاغريق فى عهود بداوتهم الأولى أدق مما جاء فى قصائد الشاعر (هوميروس) فهو يصورهم يرعون الغنم والماشية ويفلحون الأرض ويصيدون ويحاربون ويبحرون ، ثم يجاوز هذا إلى الكلام عن عقائدهم الدينية وعواطفهم النفسية ، فيعدد آلهتهم[1] ويبين إلى أى حد كانوا يقاسون فى سبيل الحب والحرية والوطن والواجب ، وإلى أى حد كانوا يحترمون النساء ، وأهم قصائد (هوميروس) : (الالياذة) و (الأودسا) فالأولى تقص أخبار اليونان فى حربهم مع أهل (تروادة) بآسيا الصغرى وأما الثانية فتتضمن أخبار القائد اليونانى العظيم (أوديسياس) بعد أن وضعت هذه الحرب أوزارها وتصف ما لاقاه من الأهوال والمخاطر وهو فى طريقه إلى بلاده .

هوميروس

وناظم هاتين القصيدتين هو شاعر اليونان البليغ « هوميروس » وتعتبر قصائده القصصية البذرة الأولى من بذور البلاغة اليونانية والدعامة الأولى للأدب اليوناني ، ويرجع تاريخه إلى القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد . وكل ما يعرف عنه أنه كان سليب البصر فى أخريات أيامه وأن الكتابة لم تكن شائعة

---

(١) كان يعبد اليونان آلهة متعددة أعظمها الاله (زوس) وكانوا يلقبونه رب الارباب وتدعى زوجته هيرا ، ومن بين الهتهم أفروديت إلهة الجمال التى يسميها الرومان (فينس) أو (الزهرة) والهة الحكمة (أثينا) ثم (بوزيدون) إله البحر و(أبولو) إله الشعر والموسيقى و (فولكان) إله النار وغيرهم آلهة كثيرون

فى عصره ولذا كان يحفظ شعره عن ظهر قلب وينشده على الناس وهو يلحن على القيثار منتقلا من بلد إلى آخر ، أو يلقنه لجماعة المنشدين الذين يذهبون فى الحفلات الخاصة والأعياد العامة يلقونه بشىء من الترتيل والغناء ، وانتقل بوساطة أولئك من جيل إلى جيل ، ولم تدوّن هاتان القصيدتان إلاّ فى عهد « سولون » المشرّع الآثينى العظيم الذى ولد حوالى ٦٣٩ ق . م .

ورغم أن قصائد الشاعر « هوميروس » مشحونة بالأساطير الخرافية فأنا نستطيع أن نستخلص منها الحقائق التاريخية الآتية :

اهمية شعره

أن اليونان كانوا يعرفون طرق زراعة الأرض وإقامة المدن المحصنة .

(١) الزراعة

أنهم كانوا يتكلمون لغة واحدة ولكنهم لم يتعارفوا ويتحدوا لوجود الفواصل الطبيعية التى تعوق اتصالهم كالجبال والخلجان .

(٢) اللغة

رغم وجود هذه الفواصل الطبيعية كانت تربط اليونان اجتماعات مقدسة عامة يحجون فيها إلى معابد الآلهة فى مواسم خاصة ، فمثلا كان يجتمع ممثلو كل الولايات اجتماعا كبيراً مرة فى كل أربعة أعوام بمكان يسمى (أولمبيا) حيث يوجد معبد كبير الآلهة (زوس) فتقدم القرابين والضحايا وتقام الألعاب المختلفة التى أهمها سباق الأقدام وسباق الخيل وسباق العربات والملاكمة والمصارعة ، ويعتبر الفوز فى هذه الألعاب شرفاً رفيعا ولو أن الجائزة التى تقدم للفائزين ليست إلاّ إكليلا مصنوعا من غصون الزيتون ، ومن أهم المجامع الدينية الاحتفال بالاله أبولو فى معبده بجزيرة ديلوس .

(٣) الاجتماعات الدينية والألعاب الاولمبية

(٤) نظام الحكومة

أن كل ملك كان يحكم قبيلته كما يحكم الوالد أسرته ، وكانت الشئون العامة يتشاور فيها الملك مع مجلس من شيوخ الأسرات الشريفة فى قصر الملك أو فى الفضاء الملاصق له حيث يستطيع العامة من الأحرار سماع المناقشة ، ولكن لم يكن يسمح لهم بالكلام فكانوا يظهرون موافقتهم بالتهليل ويعلنون عدم الموافقة بالصمت ، وكان الملك هو القائد الأعلى للجيش ، وكان فوق هذا يشغل منصب كبير الكهنة ويقدم القرابين للآلهة باسم شعبه .

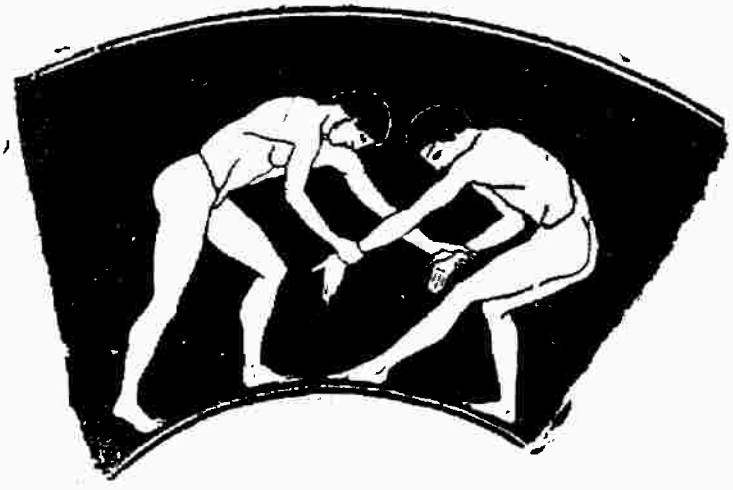

« المصارعة »

(٥) الروح الوطنية

أن الروح الوطنية كانت قوية عند الأغريق ، وهى التى جعلتهم يحاربون الفرس فيما بعد ، وجعلت الأسكندر أخيرا يوسع أمبراطوريته حتى بلاد الهند شرقا وتتلخص مظاهر الجامعة الهيلينية فيما يأتى :

(١) الألعاب الأولمبية (٢) المجامع الدينية (٣) وحدة اللغة (٤) أشعار هوميروس وقد سبق الكلام عنها جميعاً .

٤ — اسبرطه و أثينا

(هذا الفصل خاص بطلبة الأزهر وليس مقرراً لطلبة المدارس)

ليكورغ

« ليكورغ » مشرع اسبرطى عاش فى القرن الثامن قبل الميلاد ، يعزى إليه أنه وضع الدستور الأسبرطى ، وبمقتضاه يتولى حكومة البلاد ملكان بالاشتراك ، ولكن كانت سلطتهما محدودة وكانت الحكومة فى الواقع فى قبضة (مجلس الشيوخ) المكوَّن من ٢٨ عضواً يزيد سن العضو عن ٦٠ عاماً

التربية الاسبرطية

وكان الغرض الحقيقى من التربية الأسبرطية فى دستور ليكورغ إعداد الشبان ليكونوا جنوداً شجعانا ، فكان يعرض الأطفال بعد ولادتهم على أعضاء مجلس الشيوخ ، فإذا كان الطفل سقيما تبدو عليه علامات الضعف أخذوه من أمه وأمروا باعدامه فى الحال ، وتبدأ الحكومة تدريب الأولاد على التمارين الرياضية وهم فى سن السابعة ، وكانوا لا يتعلمون شيئا من الفنون غير الموسيقى لاعتقادهم أنها تنشطهم ، وكان الأسبرطى يعيش فى المعسكر عيشة التقشف والخشونة منذ طفولته حتى يوافيه أجله ، وكانت تربي البنت تربية تمدها لتكون أماً قوية سليمة الجسم فتشترك فى السباق والرقص فى الحفلات العامة وغيرها من الالعاب الرياضية ، وهكذا استطاع (ليكورغ) بتشريعه هذا أن يخلق

(١) كانت بلاد الاغريق منقسمة إلى مدن حكومية كثيرة مستقلة عن بعضها فى الحكم مثل أسبرطه وأثينا وكورنت وطيبة وأرجوس ومسينا وأركاديا ، وسنكتفى هنا بالكلام عن أسبرطه وأثينا لأهميتهما فى تاريخ الاغريق .

نموذج فتاة اغريقية من اللاتى كنّ تخرن أسيرطة

اتجهت صناعة التماثيل خلال القرن الخامس قبل الميلاد نحو التخلص من القيود الدينية القديمة . وبدأ الفنانون يهتمون بتمثيل الجمال الجسماني . وهذه الفتاة ساهمت فى مسابقات الألعاب الرياضية وهي نموذج فخم للشباب والصحة والروح الرياضية عند الأغريق

من الأسبرطيين جماعة حربية يعيش أفرادها مجتمعين فى المعسكر كما يعيش النحل فى الخلية .

النتائج

ولما كان غرض (ليكورغ) من القوانين التي وضعها لاسبرطة تخريج شعب من الجنود فأن اسبرطة ظلت قرونا عديدة أقوى مدن الأغريق من الناحية الحربية ، ولكنها كانت أقلها علما وأحطها فى الفنون والآداب ، فبينما أصبحت أثينا مهد الفنون ومهبط الخيال والحكمة ومقام الأبنية الفخمة الجميلة ، كانت اسبرطة لا تزال قرية كبيرة مساكنها من الطين والقش ، يأويها إناس أنصاف متوحشين .

اثينا الملكية

أما حكومة أثينا فكانت فى عهدها القديم ملكية ، ولكن كان نفوذ الملوك يقل بالتدريج حتى أصبحت السلطة كلها فى أيدى الأشراف فى العهد التاريخى ، وهؤلاء الأشراف استبدوا بالعامة .

ولم يكن لأثينا من القوانين المدوَّنة ما يضمن سيادة العدل وكثيراً ما كان القضاة يحابون الأشراف ويميلون إلى جانبهم .

قانون الديون

وأقسى قانون كان يئن منه العامة هو « قانون الديون » الذى كان يخول للدائن الحق فى بيع المدين وأفراد أسرته وكل ما يملك من متاع فى سبيل تسديد دينه ، وكانت قلة المحصول قد أوقعت الكثيرين فى الدَّين ، ومن ثم تحول عدد عظيم من المدينين إلى حالة الرق .

سولون

وكانت الأحوال تنذر بقيام ثورة دموية هائلة لولا أن

تأثر الفنون بالألعاب الرياضية

آنية اغريقية قدمت جوائز للفائزين فى الألعاب الرياضية وهى تمثل مقدار تأثر النقش بالألعاب الرياضية وترى على الأول والرابع رسم الآلهة أثينا التى كانت تشرف على الحفلات الرياضية وعلى الثالث رسم لسباق الخيل وعلى الثانى رسم للملاكمة الاغريقية

[illegible] الأشراف (سولون) بشرع [illegible] لأصلاح القوانين
[illegible] وهو [illegible] وهو من كبار حكماء اليونان .
[illegible] ق . م من أسرة شريفة . وأنه
[illegible] في [illegible] في نظم أثينا . وأن وظيفته
[illegible] على الأحزاب والطبقات في أثينا .

[illegible] أن [illegible] (سولون) أن أثينا كانت على وشك الوقوع
[illegible] (طاغية سيكيون) الذي يخول له الدائن استرقاق مدينه . ثم
أصلح بقية القوانين بما يتفق مع إصلاح جميع الطبقات . وظهر بعده
زعماء كثيرون سادت في عهودهم الفوضى حتى جاء عهد بركليس .

[illegible] بركليس وفي عام ٤٨٠ ق . م . سوّلت للشعب الأثيني أن يتولى زعيم
الأمور في أثينا (بركليس) وهو أشهر سياسي عرفه تاريخ اليونان ،
حكم أثينا ما يقرب من نصف قرن حتى وفاته عام ٤٣٠ ق . م . . وكان في أول أمره زعيم حزب سياسي ترمي أغراضه إلى معاداة اسبرطة والعمل على جعل أثينا صاحبة السيادة . وكان يرغب في إقامة إمبراطورية أثينية

بركليس

تحكم شعوب اليونان كلها ، وقد نجح فى مشروعه هذا فترة من الزمان فرفع شأن أثينا وأنزلها منزله لم تشهد مثلها من قبل .

حكومته

وحوّل (بركليس) أثينا إلى ديمقراطية تامة ، فألغى مجلس الأشراف القديم ووضع السلطة كلها في يد مجلس الخمسمائة الذى يمثل الشعب تمثيلا صادقا ، وأشرك المواطنين فى إدارة الحكومة فكان يقترع كل عام لاختيار ٦٠٠٠ مواطن يشتركون فى أعمال الحكومة ويتقاضون أجوراً على أعمالهم وفتح فى وجوههم السبل إلى أعظم مناصب الدولة .

الوظائف الكبرى

أما الوزراء وأعضاء مجلس الشيوخ والقضاة فكانوا كذلك يختارون بوساطة الاقتراع العام ، وعلى هذا فقد كان كل مواطن يشترك فى الحكومة إما بتسلم أحد المناصب أو بالتصويت فى الجمعية العمومية ، وكان المنصب الوحيد الذى لا ينتخب بالتصويت العام هو منصب القائد الأعلى للجيش .

الجمعية العمومية

كانت تعقد الجمعية العمومية من الشعب فى سوق من الاسواق العامة يدعي (أجورا) وكان لكل مواطن فى المدينة أو الأرياف المجاورة أن يحضر الجلسات ويصوّت فيها ، أما نظام الجلسات ، فيتلخص فى أنها كانت تعقد ثلاث مرات فى الشهر ، فيقرأ أحد الحجاب مشروع القانون الذى حضره مجلس الشيوخ ثم يسأل عن الذين يرغبون فى المناقشة فيقف الخطباء واحداً بعد الآخر على منبر خاص ويوجهون كلامهم للجمعية وتؤخذ الأصوات بعد ذلك بوساطة رفع الأيدى ، وكان المجتمعون يصغون إلى المناقشات بكل اهتمام

كما أن الخطباء المفوهين مثل (بركليس) كان لهم أكبر التأثير على المجتمعين .

وخلاصة القول فقد كان أهالى أثينا يحكمون أنفسهم ويشرّعون لانفسهم ويعينون قضاتهم ، ورغم أن هذا النظام كان فاسداً بعض الفساد لأنه أشرك العامة والدهماء فى الحكم ، إلا أنه جعل الأثينيين يحترمون رأى الأغلبية فى كل اجتماعاتهم .

المباني العامة

وفى عهد (بركليس) قامت مدينة جديدة ذات معابد فاخرة وآثار عظيمة لتحل محل أثينا القديمة التى دمرها الفرس ، وأفخم مبانيها (معبد البارثنون) العظيم الذى كان يتوج قمة الاكربوليس وقد حلي أفاريزه الخمار الشهير (فيدياس) ثم نقش عليه رسوماً بديعة تمثل الحفلات الدينية الآثينية .

وكان خارج المعبد تمثال الألهة (أثينا) ربة الحكمة المصنوع من البرنز ، ويبلغ ارتفاعه أكثر من ٧٠ قدما يراه الرائى من البحر بغاية الوضوح .

وفى داخل المعبد تمثال آخر لأثينا من صنع (فيدياس) محلى بالذهب والعاج ، وهو أصغر من التمثال الخارجى بكثير ، وكانت تزين منحدرات الاكربوليس تماثيل أخرى وآثار كثيرة تمثل أقصى ما وصل اليه الرقى الفنى فى عهد (بركليس) وعلى السفح أيضا مسرح (ديونيساس) الكبير الذي يسع ثلاثين الفاً من المتفرجين ، وهناك كان يجتمع الناس لمشاهدة التمثيل ، ولا يفوتنى القارىء ان (بركليس) كان يسمح للشعب بدخول هذا المسرح وغيره مجاناً فأدى هذا إلى

تنور فكرى عظيم ، ومن أعظم المبانى معبد التسيوم الشهير الذى لا يزال حافظا لرونقه .

عظماء الرجال

ويمتاز عصر « بركليس » بنبوغ طائفة من المفكرين أهمهم « اسكلاس » الذى حارب فى واقعة مراتون و « سوفوكليس » و « ايريبدس » وكلهم من مؤلفي الدرامات التراجيدية « المآسى » ثم « اريستوفان » كاتب الدرامات الكوميدية (الهزلية) ثم « فيدياس » المصور وهيرودوت المؤرخ وسقراط وأفلاطون الفيلسوفان ، وغير هؤلاء ممن رفعوا رأس أثينا وجعلوها محط رحال العلماء وطلاب الفن والأدب وعشاق الطبيعة .

الرفاهية الاثينية

وخلاصة القول إن التاريخ يذكر لبركليس بكل تقدير جهوده فى سبيل أثينا ، فقد أصبحت فى عهده مدرسة الشعب لهلينى بأسره ، وكان لا يقل ثراؤها عن جمالها ، فكانت ميناؤها مكتظة بالسفن التجارية ، واشتهرت فوق هذا بصناعة الآنية الجميلة والاكواب الخزفية التى كانت تصدرها لبلاد البحر المتوسط كما أنها كانت تستورد الخشب والفاكهة والنبيذ المعتق من الجزر النائية ، وكانت تجلب البخور من سوريا والبلح من فينيقيا والسجاجيد من قرطاجنة وورق البردى من مصر ، وكانت تجبى المكوس الباهظة على كل هذه الواردات فامتلأت خزانتها وتمتع الشعب الأثينى برفاهية لم يشهد مثلها من قبل .

أسباب الحروب مع اسبرطة

وفى ذلك الوقت قوى التنافس واشتد العداء بين أثينا واسبرطه لأن اسبرطه وحليفاتها كانت تحسد أثينا على قوتها واستئثارها

بالزعامة على المدن الاغريقية ، أضف الى هذا اختلافهما فى الجنسية فأهل أثينا من قبائل الأيونيين بينما الاسبرطيون من الدوريين ، وأهم من ذلك كله اختلافهما فى الميول السياسية فاسبرطة تعتنق المبادىء الارستقراطية بينما أثينا تنادى بأنها حامية الديموقراطية .

نتائج الحروب

وكانت نتيجة هذه الحروب أن انتصرت اسبرطه وحليفاتها ودخل الاسبرطيون أثينا وهدموا أسوارها ومبانيها العظيمة وبذلك سقطت الامبراطورية الأثينية وآلت الزعامة من بعدها إلى أسبرطه ، ولكن طيبة لم تلبث أن هزمت اسبرطه وانتزعت منها الزعامة على الأغريق ، وأخيراً انتهى الكفاح بين المدن الأغريقية بظهور مقدونيا وقيام الوحدة الاغريقية على يد الاسكندر الاكبر .

٥ — مميزات الحضارة الاغريقية

١ — الديانة

كانت ديانة الاغريق فى أول أمرها قائمة على عبادة مظاهر الطبيعة كالشمس والقمر والسحاب والرياح والمحيطات والأنهار، وكان لكل منها إله خاص ، وكان أكبر الآلهة (زوس) إله السماء وأبو الآلهة والبشر ، وكان (فولكان) إله النار والصناعات الحديدية ، ومنه جاءت كلمة (فولكان) أو (بركان) ، وكانت (أثينا) ربة الحكمة وحامية مدينة أثينا ، وكان (مارس) إله الحرب و (أبولو) إله النور والشعر والنبوءة ، ولأبولو معبدان عظيمان فى ديلوس ودلفى كان يقصدهما المستخيرون من كل نواحى بلاد الاغريق ، وتصور الأغريق أن آلافاً من الآلهة الصغيرة للانهار والقنوات والعيون والجبال وغيرها تجتمع على قمة الأولمب حيث يعقد مجلس الآلهة ، وكان الأغريق يصورون آلهتهم على أشكال الرجال والنساء ويميزونهم بقسط أوفر من الجمال والقوة .

٢ — أنظمة الحكم

يعتبر تاريخ الاغريق السياسى من أهم مميزات حضارتهم ، فقد ظهرت بينهم مجالس الشيوخ والجمعيات العمومية والحكم الملكى والانظمة الارستقراطية والديكتاتورية والديموقراطية وظهر بينهم من كبار الساسة من يفخر بهم التاريخ القديم أمثال بركليس وارستيد وديموسينيس ، ولكن الأغريق برغم هذا قد فشلوا فى إقامة شعب موحد من الناحية السياسية .

٣ — العمارة

وصلت العمارة فى ختام القرن السادس قبل الميلاد إلى درجة عظيمة من الرقى وظهرت المباني على ثلاثة أوضاع مختلفة : (١) الطراز الدورى ، (٢) الطراز الايونى (٣) الطراز الكورنثى ، وتختلف هذه عن بعضها من نواح كثيرة ، منها اختلاف الابعاد واختلاف شكل الأعمدة وزخارفها ، فالأعمدة الدورية قمتها أو تاجها على درجة كبيرة من البساطة والخلو من الزخارف ، أما الأعمدة الكورنثية فتتميز بكثرة الزخارف من

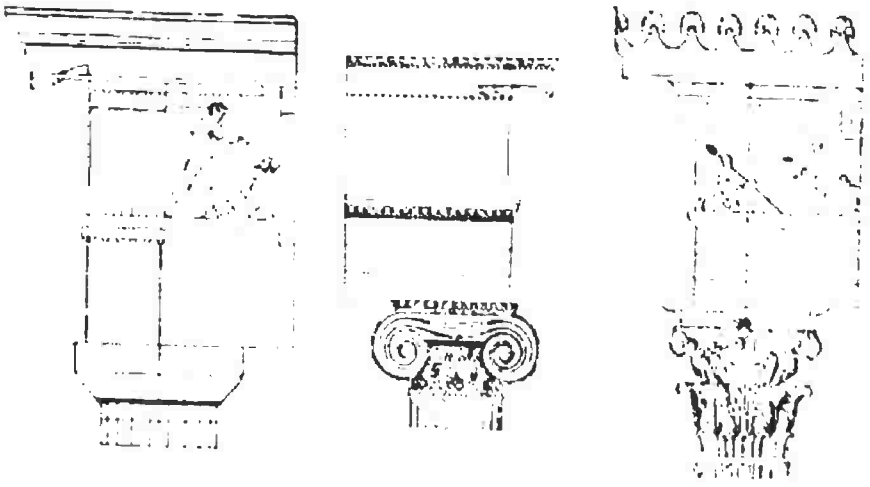

تاج عمود دورى　　تاج عمود ايونى　　تاج عمود كورنثى

وأوراق الاشجار والزهور . وهذه لم تظهر قبل عهد الاسكندر الاكبر . والأعمدة الايونية بها زخارف قليلة .

أثر الدين فى العمارة : وكان للدين أثر كبير فى تقدم البناء . لأن معظم مباني الاغريق القديمة معابد للآلهة أهمها دلفى والبارثنون والأولمب .

معبد دلفى : ومعبد دلفى من أقدم الأبنية الاغريقية ، هدمه الحريق سنة ٥٤٨ ق . م . وتعاونت مقاطعات الاغريق فى إعادة بنائه فجاء المعبد الجديد آية فى البساطة التى تميز بها الطراز الدورى .

معبد البارثنون : والبارثنون هو معبد أثينا العذراء ، أقيم على تل الاكروبول على الطراز الدوري ، وجعلت فيه أعمدة جميلة من الرخام ، وهو لا ريب من أبدع نماذج العمارة الاغريقية ، ولقد كان فى أول الأمر معبداً وثنياً ثم صار كنيسة مسيحية ثم مسجداً إسلاميا . وأخيرا صيّره الأتراك مستودعاً للبارود فى حربهم مع البنادقة سنة ١٦٨٧ ، ولقد أصابته قنبلة هدمت عدداً كبيراً من الأعمدة الغنية الرائعة . وبرغم ما هو عليه من التخريب لا يزال مثلا أعلى للفن الاغريقى القديم .

معبد الاولمب : ولكبير الآلهة زوس معبد ضخم على الطراز الدورى في أولمبيا وحوله معابد وابنية اخرى كثيرة ، أمر الامبراطور الروماني تيودسيوس بهدمها لأنها من

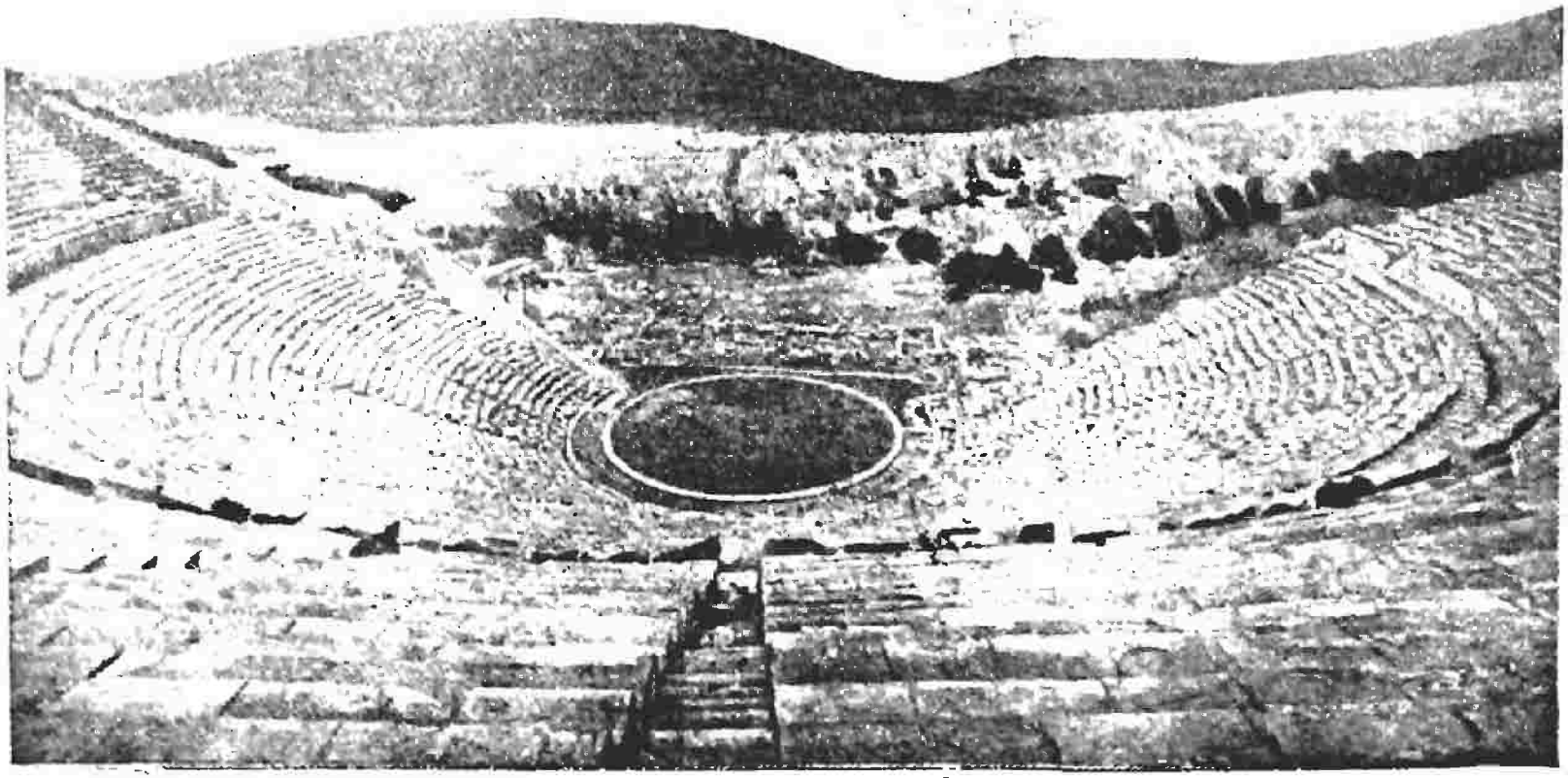

أجمل مسارح الاغريق القديمة

مسرح ابيدورس الذى وضع تصميمه بوليكليتس وهو يسع ١٦ الف من المتفرجين وترى فى وسطه حلقة التى يقف فيها الممثلون والعازفون

معاقل الوثنية . وظلت أنقاضها تحت الأرض حتى نقب الألمان عنها واستطاعوا كشف المعبد وأكثر من أربعين بناء آخر في القرن الماضي .

٤ — المسارح

كانت (المسارح) الاغريقية تقام في الهواء الطلق . وهي على شكل حلقة يكون التمثيل في وسطها . وتجعل المقاعد حولها على شكل مدرج . وأهم مسارح الاغريق مسرح إله الخمر ديونيساس في أثينا ، ويعتبر نموذجاً لبقية المسارح الأخرى ، وهو منحوت من صخور تل الأكروبول على السفح الجنوبي . وفيه مائة صف من المقاعد بعضها خلف بعض على شكل مدرج ، وأفخم المقاعد الصف الأسفل القريب من حلقة التمثيل والموسيقى . ويتكون هذا الصف من سبعة وستين مقعداً من الرخام ، أما البناء كله فيسع ثلاثين ألفاً من المتفرجين . ومن أفخم المسارح الآثينية مسرح (أبيدوراس *Epidaurus*) وهو لا يزال حافظاً لرونقه ويسع ستة عشر ألفاً من المتفرجين

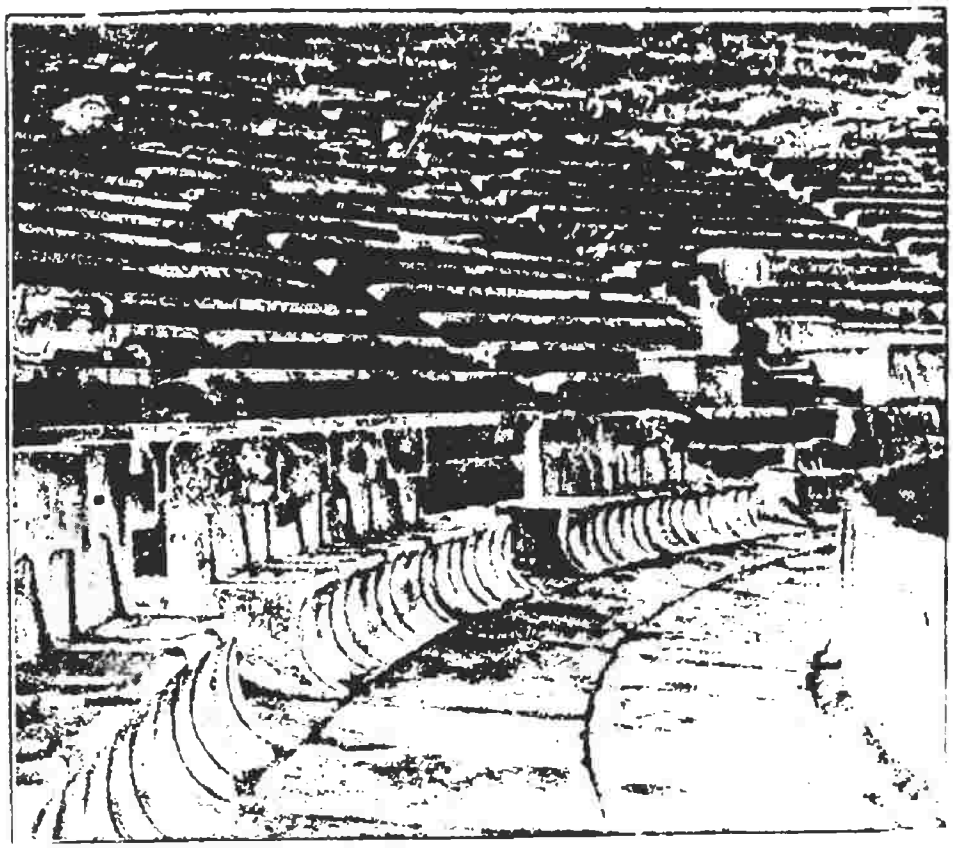

استغل الاغريق سفوح الجبال لإقامة مدرجات لمسارح فكانوا يحفرون المقاعد في الصخر ويفصلون بينها بممرات صاعدة . وأفخم المقاعد ما كان منها أقرب إلى حلقة التمثيل

٥ — الحفر

الحفر وتأثره بالفن الشرقى أقدم تماثيل الاغريق فيها كثير من مميزات الفن الشرقى ، ومعنى هذا أن الاغريق أخذوا عن مصر وأشور صناعة التماثيل ، ومنذ القرن السادس قبل الميلاد بدأ يزدهر ذلك الفن حتى وصل الى أرقى مراحله فى عصر بركليس الذهبى .

أثر الالعاب الاولمبية فى الفن الاغريقى : فى خلال الجزء الأخير من القرن السادس قبل الميلاد كانت تقام التماثيل للفائزين فى الألعاب الأولمبية ولما كان صانع التماثيل يتقيد في أول الأمر ببعض القيود الدينية فى صنع تماثيل الآلهة ، فقد أصبح الآن طليقا فى صنع تماثيل البشر ، وبذا ظهرت عبقريته وتقدمت صناعته كثيرا ، واستطاع تمثيل أوضاع الجسم فى حالات المصارعة والسباق والملاكمة وغيرها ، وأعظم الحفارين فى ذلك العصر فيدياس وبراكسيتيل .

(١) **فيدياس** ويمثل (فيدياس *Phidias*) عصر الكمال فى الحفر فى القرن الخامس ق . م . وأهم تماثيله الضخمة تمثال المعبودة أثينا داخل البارثنون ، وهو مصنوع من العاج والذهب ، ولا يقل ارتفاعه عن أربعين قدماً ، وصنع فيدياس تمثال كبير الآلهة زوس فى أولمبيا ، وهو من العاج والذهب أيضا وارتفاعه ستون قدما ، ويمثل الاله زوس وقد جلس على عرشه .

(٢) **براكسيتيل** وظهر فى القرن الرابع قبل الميلاد حفار ماهر يدعى براكسيتيل ، كان يحفر العواطف الانسانية والحالات النفسية على الصخر ، فيبدو التمثال بين يديه كأنه قطعة من الحقيقة ، ومن آثاره الخالدة تمثال (أفروديت) الهة الجمال وتمثال (هرميس) رسول الآلهة الذى أقيم فى أولمبيا ، ولحسن الحظ عثر المنقبون على هذا التمثال البديع سنة ١٨٧٧ وبذلك أصبحت فى حيازة التاريخ قطعة رائعة من نماذج الفن الاغريقي القديم .

(٣) مدرسة رودس وفى ذلك الوقت عظم شأن رودس التجارى فى البحر المتوسط. ونهضت فيها صناعة التماثيل فقامت بها مدرسة جديدة من الخالقين هم الفضل

تمثال هرمس رسول الآلهة من صنع الخالق براكسيتيل

فى صنع معظم التماثيل التى تملأ المتاحف اليوم . وأهم المثالين فى مدرسة رودس (كارس ـ *Chares*) الذى أقام للإله زوس تمثالا ضخما حوالى سنة ٢٨٠ ق . م . يعتبر من عجائب الدنيا . وأهم آثارهم أيضا المجموعة المعروفة باسم (لاكون *Laocoon*) التى عثر عليها المنقبون فى روما سنة ١٥٠٦ وموضوع هذه الصورة أن كاهناً من تروادة يدعى لاكون أغضب الآلهة فسلطوا عليه ثعبانين هائلين أنزلا به وبولديه عقاباً جائراً ،

وهذه المجموعة تمثل الألم الجسدي والاكتئاب النفسي . وتمثل تكتلا في سبيل العقاب الصامت .

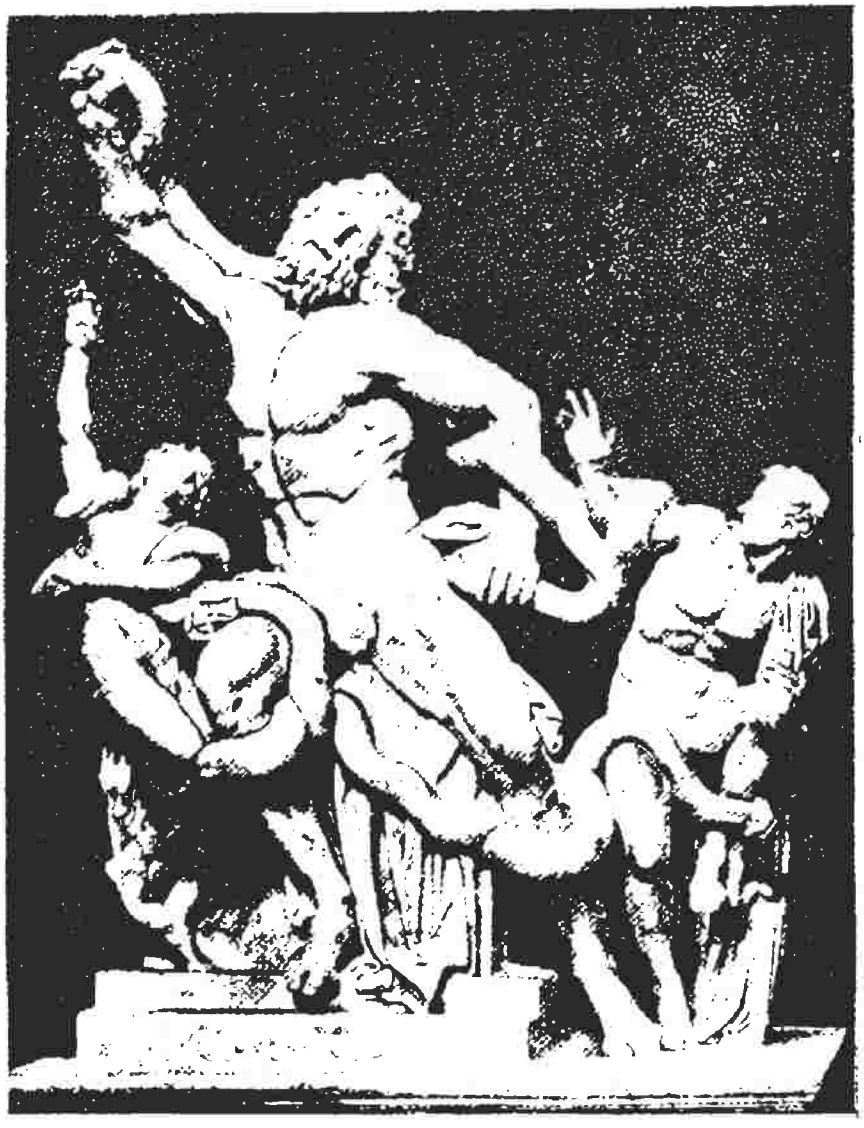

لاكون

٦ ـ النقش والتصوير

لم يهتم الأغريق بالتصوير مثل اهتمامهم بالحفر . وذلك لأن الصور لم تكن عندهم موضع الاحترام مثل التماثيل . وأهم النماذج فى التصوير ما وجد على بعض الأواني الخزفية والمعدنية . ثم بعض النقوش والزخارف على حيطان المعابد والمبانى . واشتهر من المصورين في القرن الخامس (بوليجنوتس ـ *Polygnotus*) وأهم قطعة مصورة لامرأة جاء ذكرها فى حرب تروادة تدعى (بوليكسينا) واشتهر الرجل بتصوير العواطف

الانسانية لدرجة أن الذين شاهدوا صورة هذه المرأة قالوا إنها تحمل فى حاجبيها تاريخ حرب تروادة بأسره . ومن الذين نبغوا فى التصوير فى النصف الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد (زوكسيس – Zeuxis) و (بارهاسيس – Parrhasius) ، صوّر الأول عنقوداً من العنب ، كان قريبا من الحقيقة ، لدرجة ان كانت تنقره العصافير ، ونقش (بارهاسيس) صورة كبيرة لستار علقها على الحائط ، وزاره صديقه (زوكسيس) فلم ينتبه إلى أن هذه صورة منقوشه ، وطلب من صاحبه أن يزيح هذا الستار ، وكم كانت دهشته حين وجدها صورة وليست ستارا حقيقيا ، وهنا قال لصديقه « لقد استطعت بعنقودى أن أخدع الطير ، أما أنت فقد خدعت بستارك فنانا مبدعا ! ! »

أما (ابيلاس – Apelles) فقد كان مصوّر البلاط في عهد الاسكندر الاكبر ، وهو الذى وصل بالتصوير الى أرقى مراحله ، ومن بعده أخذ ذلك الفن فى أسباب الانحطاط .

٧ – الادب الاغريقى

الفن الادبى : حاسة الجمال عند الاغريق فى صنع التماثيل هي بعينها التى جعلتهم فنانين فى الادب ، فلغتهم وكتابتهم الجميلة من أعظم ما تركوه للعالم ، فقد دونوا القصص والدرام والتاريخ والخطب التى لا تقل جمالا وروعة عن معابدهم وتماثيلهم .

قصائد هوميروس : وأقدم نماذج الادب الاغريقى قصائد الشاعر هوميروس ، الذى عاش فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد ، والذى طاف بلاداً كثيرة ، ثم فقد بصره فى أخريات أيامه ، وظل ينتقل بعد هذا فى المدن الاغريقية وينشد على القيثار أشعاره الخالدة فى الاسواق العامة والحفلات الخاصة فى مختلف المدن الاغريقية ، وفى أشعار هوميروس وصف للبطولة فى حروب تروادة ، فهو شعر قصصى حماسي يطلق عليه (Epic) أو شعر الملاحم .

هيسيود – Hesiod) أما هيسيود فهو شاعر الطبيعة والحياة الريفية ، أفاض فى وصف الفلاح وعامة الناس وحياتهم اليومية ، وأعظم قصيدة له عنوانها (الاعمال

والايام) وتعتبر تقويما للفلاح ، إذ تناولت وصفاً جميلا لتتابع الفصول وتضمنت نصائح تساعد الفلاح فى عمله اليومي .

الشعر الغنائى ـ *Lliric* : يتمثل الشعر الحماسى فى (*Epic*) فى قصائد هوميروس وهيسيود ، اما الشعر الغنائى (*Lyric*) فيتمثل فى قصائد (سافو ـ *Sapho*) المنشدة التى يضعها الأغريق فى المرتبة التى تلى مرتبة هوميروس ، وفى قصائد الشاعرين (أناكريون *Anacreon*) و(سيمونيدس ـ *Simonidis*) ، ولكن أهم هؤلاء جميعا الشاعر العظيم (بندار ـ *Pindar*) الذى يصف فى قصائده الحفلات الأولمبية وغيرها ، وكان يكرم الفائزين فيها بأبيات جميلة من شعره الخالد.

الدرام يقصد بالدرام القصائد المسرحية ، وقد نشأت بنوعيها التراجيدى والكوميدى عن الأناشيد والأغاني الدينية التى كانت تنشد تكريما للآلهة ، وكان يلقيها فى أول الامر رجل واحد ، ثم أصبحت على هيئة الحوار بين رجلين ، ثم اشترك فى القائها عدد من الممثلين ، وهذا معناه أن لها أصلا دينيا ، وأخيراً انقسمت الدرام إلى (١) الكورس ـ *Chorus* ومعناه الاغانى والرقصات ، (٢) الديالوج ـ *Dialogue* ومعناه الحوار ، وكان الكورس هو الجزء الهام من الدرام فى أول الأمر ، ولكن لم يلبث الديالوج أن أصبح الجزء الرئيسى ، وهكذا نشأت الدرامة الاغريقية .

شعراء التراجيدى : يعتبر (اسكيلاس ـ *æschylus*) ٥٢٥ ـ ٤٥٦ ق . م . نابغة التراجيدى وخلاصة آرائه أن الانسان لا يستطيع أن يصعد بقلبه إلى المراتب العليا ، وأن زوس كبير الآلهة يتولى الوقوف فى وجه الطامحين بقلوبهم فيستأنسهم ويرجع بهم إلى المستوى المناسب لهم .

أما (سوفوكليس *Sophocles*) ٤٩٦ — ٤٠٥ ق . م . فقد حاز فى شبابه جائزة التفوق فى مسابقة شعرية ضد اسكيلاس ، ويقول المؤرخ بلوتارك إن اسكيلاس بعد أن فشل فى هذه المسابقة انزوى فى صقلية وبذلك أصبح سوفوكليس حامل لواء الدرام فى أثينا ، والحقيقة أن شعره نماذج خالدة لعظمة الدرام فى ذلك العصر .

سوفوكليس

وخلاصة آرائه فى دراماته أن الكبرياء الآدمى يثير غضب الآلهة . وأن الإنسان لا يفلح مطلقاً فى تحدى إرادة كبير الآلهة (زوس)

أما (أوريبيدس *Euripides*) ٤٨٠ ق . م . فقد فاق اسكيلاس وسوفوكليس وجاوزت شهرته بلاد الاغريق . ويقول المؤرخ بلوتارخ إن أهل صقلية كانوا يحبون شعره لدرجة أنهم كانوا يطلقون سراح الأسرى الاغريق إذا هم علموهم بعضاً من قصائده .

الكوميدى : وأعظم أدباء الكوميدى (اريستوفان *Aristophanes*) ٤٥٠ ٣٨٥ ق . م . ويصف فى دراماته الحياة اليومية للطبقات الوضيعة فى المجتمع الآثينى ، وأشهر مؤلفاته (الضفادع) و (الفرسان) و (الطيور) وهذه جعلته حامل لواء الدرام الكوميدى .

المؤرخون : الشعر هو المرحلة الأولى فى الادب الاغريقى . ولم يظهر المؤرخون الا بعد قرنين من ظهور قصائد هوميروس أى فى القرن السادس قبل الميلاد .

(١) هيرودوت — *Herodotus* ٤٨٤ ٤٢٥ ق . م . هو أبو التاريخ . طاف معظم أنحاء العالم القديم . ووصف بدقة كل ما شاهده من الآثار . ولكن الاخبار التى نقلها عن العامة لا يصح الاعتماد عليها . والرجل راوية ماهر . لأنه عاش فى عصر اشتهر بالقصص .

(٢) أما (ثيوسيديدس — *Thucydides*) ٤٧١ — ٤٠٠ فقد كان مؤرخاً وفيلسوفاً ، وصف الحرب بين الفرس والاغريق ، ومات قبل أن يتم مؤلفه عنها . وتعتبر كتابته نموذجاً للكتابة التاريخية ، وكان ديموسينيس يقرأ كتابته ويكرر قراءتها كي يتأثر

بأسلوبه الخاص . ويهتم الأدباء والخطباء في القرن العشرين اليوم بدراسة كتابات ثيوسيديدس .

(٣) ومن جملة لواء التاريخ (كسينوفون Xenophon ٤٢٥ ٣٥٥ ق . م . وهو آثيني من أرباب السيف والقلم . كتب عن سقراط مذكرات جميلة . ولف قصة رائعة اسمها (أناباسيس Anabasis) وصف فيها إحدى الحروب بين الاغريق والأسيويين عند أعالي الفرات .

« ديموستنس »

الخطابة : كان لديموقراطية الاثينية أكبر الأثر في نهضة الخطابة . فقد كانت اجتماعات العمومية مجالا يتبارى فيه الاثينيون في الخطابة والمناقشة وكان نظام القضاء في أثينا يجعل للمتقاضين الحق في الدفاع عن أنفسهم فنهضت الخطابة نهضة عظيمة .

وأبلغ الخطباء (ديموستينس — Demosthenes) ٣٨٥ — ٣٢٢ ق . م وأهم خطبه ما كان منها ضد فيليب المقدوني فقد نصح الآثينيين بمحاربته ومنعه من السيطرة على الاغريق . وأهدى الآثينيون إلى خطيبهم تاجا من الذهب . فأثار هذا حقد خطيب آخر يدعى « اسكينوس — Æschines » فدبر مؤامرة هو وأعوانه ضد ديموستينس وطلبوا من الجمعية العمومية أن تحاكمه . وفي هذه المحاكمة

الشهيرة دافع الرجل عن نفسه دفاعاً تاريخياً يعتبر أقوى مرافعة شهدها تاريخ القضاء ؟

٨ — الفلسفة

الحكماء السبعة : ظهر فى القرن السادس قبل الميلاد رجال تؤثر عنهم حكم كثيرة سرت فى الاغريق مسرى الامثال ، ولا تعتبر حكمهم فلسفة حقيقية ، ولكنهم لاريب مهّدوا لظهور الفلسفة ، واشتهر منهم سبعة أطلق عليهم الحكماء السبعة .

الفلسفة الايونية (طاليس) وفي مدن أيونيا بآسيا الصغرى ظهر « طاليس *Thales* » ابو الفلسفة الاغريقية الذى عاش حوالى سنة ٦٤٠ ق . م . ، ولقد زار طاليس مصر ودرس فيها الفلك والهندسة ، وجعل هذه المعلومات أساس فلسفته ، وكان يقول بان هناك أربعة عناصر ، الارض والماء والنار والهواء ، ومنها تكوّن كل شىء فى الارض والسماء.

بيثاجوراس – *Pytragoras* من فلاسفة القرن السادس ، وهو مخترع كلمة (فيلسوف) فقدسئل مرة عن نفسه فقال (انا فيلسوف) ومعنى الكلمة (محب للحكمة) وتتلخص فلسفته فى انه قال بان الارض كروية وانها تدور مع الكواكب الأخرى حول كرة من النار .

اناكساجوراس – *Anaxagoras* وهو من فلاسفة القرن الخامس قبل الميلاد ، وأول من جعل العقل اساس كل شىء ، ومن كلماته المأثورة (العقل يحكم العالم) ومن آرائه ان القمر يشبه الارض وانه آهل بالسكان ، وان الشمس ليست إلهاً ، وانما هى صخرة ملتهبة ، ولكن هذه الآراء جعلت الاغريق يحكمون عليه بالنفى من وطنه ، وفى منفاة قال كلمته الشهيرة « انى لم أفقد الأثينيين ، ولكنهم هم الذين فقدونى »

السوفسطائيون – *The Sophists* هم طائفة من الفلاسفة الذين علموا الناس الخطابة وقواعد الجدل والبحث عن اصول الاشياء ، وكانوا يتقاضون أجوراً من تلاميذهم ويهتمون بالحقائق العلمية من غير اهتمام بالأسلوب الذى تصاغ فيه ، وكان الفلاسفة

« هضبة السيوة »

وطن الواحات الخارجة بالصحراء الغربية

يعيبون عليهم انهم يبيعون الحكمة ، ولكنهم على الجملة مهدوا لظهور اعظم فلاسفة العالم القديم ، أمثال سقراط وافلاطون وارسطو .

سقراط

سقراط — *Socrates* (٤٦٩ — ٣٩٩ ق . م .) كان يجتمع بتلاميذه فى السوق العامة أو فى الطريق ويوجه اليهم الاسئلة ويناقش اجاباتهم حتى يوقفهم على اخطائهم ، ومن هنا اطلقوا على طريقته (الحوار السقراطى) وتتلخص فلسفته فى قوله (اعرف نفسك) وكان يقول بخلود الروح وبوجود مدبر أعلى للكون ، وهذه الآراء جعلت الاثينيين يحكمون عليه بالاعدام لكفره ولافساده عقول الشباب .

افلاطون — *Plato* (٤٢٧ — ٣٤٧ ق م .) درس الفلسفة على سقراط ، وبعد موت أستاذه هام على وجهه من بلد الى آخر ، وعاد إلى أثينا وقد كسب تجارب كثيرة من رحلته ، فانشأ مدرسة للفلسفة ظل يدرس فيها حتى مات فى سن الحادية والثمانين ، وكان ينهج منهاج سقراط فى الحوار ، وألف كتاب (الجمهورية) الذى يصف فيه المثل الأعلى لما يجب ان تكون عليه الحكومة الصالحة ، ومن كتبه (فادو — *Phaedo*) وهو سجل للمحاورات التى دارت بين سقراط وتلاميذه عن خلود الروح في آخر ليلة من حياته قبل أن ينفذ فيه حكم الاعدام ، وافلاطون قريب من المسيحية فى كثير من تعاليمه ، ومن أقواله المأثورة « يجب أن نبذل قصارى جهدنا فى التشبه بالله ، وذلك معناه أن نكون أطهاراً عدولا حكماء . »

ارسطو — *Aristotle* (٣٨٤ — ٣٢٢ ق. م .) هو أستاذ العارفين ، ويمثل أرقى مراحل الفلسفة الاغريقية ، درس فى مدرسة أفلاطون عشرين عاما ، ثم دعاه فيليب المقدونى إلى بلاطه فلبى دعوته وأصبح استاذاً لابنه الاسكندر الاكبر ، وأحسن الاسكندر إلى استاذه فوهبه المال الوفير وأهدى اليه مجموعات من النبات والحيوان جمعها فى حملاته الشهيرة ، وهذه ساعدت الفيلسوف فى دراساته ، ومن مؤلفاته ابحاث كثيرة

فى البلاغة والمنطق والشعر والاخلاق والسياسة والطبيعة وغيرها ، وعلى الجملة فقد سيطر أرسطو على الفكر الانساني ، واعترف الفلاسفة والمعلمون بزعامته فى العالم بأسره .

٩ — العلوم

الرياضة : كانت الاسكندرية وسطاً الدراسات الرياضية ، ففى عهد البطالسة ظهر بها (اقليدس *Euclid*) الذي وضع النظريات الهندسية التى يدرسها التلاميذ فى مدارسنا الثانوية ، وكان بطليموس تلميذاً لاقليدس ، ويظهر أنه سئم طريقته فسأله عن طريقة أسهل منها ، فأجاب اقليدس على الفور « ليس للهندسة طريق ملكى ! ! » وفي القرن الثالث قبل الميلاد ظهر أرشميدس العالم الطبيعى والرياضى الشهير .

الفلك والجغرافيا : اشتهر من علماء الفلك (اديستاكاس) الذى قال بأن الأرض تدور حول الشمس التى هى مركز ثابت ، كما أن الارض تدور في نفس الوقت حول محورها ، أما كلوديأس بطليموس الجغرافى فهو من علماء الاسكندرية فى القرن الثاني المسيحى ، وهو الذى قال بكروية الأرض وأورد على ذلك الأدلة التى نسوقها نحن الآن الدلالة على كرويتها .

الطب : بقراط — *Hippocrates* (٤٦٠ ق . م .) ، هو أبو الطب إذ خلّصه من الخرافات والجهالات وجعله دراسة علمية منظمة .

١٠ — الحياة الاجتماعية

التعليم : كان التعليم في اسبرطة اميرياً ، ولكن كان يتعلم الأولاد فى أثينا وبقية مقاطعات الأغريق فى مدارس خاصة ، وكان الصبيان هم الذين يتعلمون وحدهم دون البنات ، وكانوا يتلقون فى المراحل الأولى في بيوتهم الاساطير والقصص الوطنية والدينية ، وفى سن السابعة يدخل الصبى المدرسة ويرافقه فى ذهابه وإيابه عبد مسن يطلق عليه بيداجوج (*Pedagogue*) وهي كلمة إغريقية معناها قائد الاولاد ، وهو ليس مدرساً ، وهناك يتعلم الأولاد النحو والموسيقى والألعاب الرياضية ، وكان النحو يشمل القراءة والكتابة والحساب ، أما الموسيقي فتشمل الأناشيد الدينية والوطنية والعزف على الآلات الموسيقية ، وأما الألعاب الرياضية فيقصد منها إعداد الشبان للألعاب الاولمبية ، ويلاحظ

أن الشبان كانوا يحضرون مجالس الفلاسفة ويسمعون المناقشات فى الجمعية العمومية ويحضرون المرافعات فى دور المحاكم ، فأدى هذا إلى تنور فكرى عظيم جعل المؤرخ الانجليزى (ماهافى ـ *Mahaffy*) يقول « إن مستوى التفكير بين أهالى أثينا القديمة كان أرقى منه فى مجلس العموم البريطانى اليوم »

المرأة : برغم أن فى الآثار قطعاً رائعة تمثل جمال المرأة الاغريقية ، فأن الأدب الاغريقي يحتقر النساء ، ومن أمثلة ذلك أن الأديب (تيوسيديدس) أظهر موافقته على المثل الأغريقي القائل « خير النساء من قل تحدث الرجال عنهن بالخير أو بالشر » وهكذا تركت المرأة فى عزلتها تطبخ وتغزل وتراقب العبيد ، وكان لا يسمح للمرأه فى المقاطعات الايونية الراقية أن تظهر للجمهور أو تقابل فى بيتها أصدقاء زوجها ، أما فى اسبرطة والولايات الدورية فقد أعطيت قسطاً كبيراً من الحرية وكانت عاملا هاماً فى الحياة الاجتماعية .

التمثيل : كانت المسارح لدى الاغريق أبنية حكومية ترعاها الدولة كما ترعى بقية الدواوين الأميرية ، وذلك لأن العبادات كانت تمثل فيها تقديساً للآلهة ، وكان يحضرها الفقراء والأغنياء والنساء والاطفال والرجال على السواء ، ولا ريب أن المسرح كان له فضل كبير على الثقافة الاغريقية ، فقد كان يقوم مقام الصحافة والوعظ والمدارس فى الوقت الحاضر .

الرق : الرق من مميزات النظام الاجتماعى عند الأغريق ، والمعروف أن عدد الأرقاء قد زاد على عدد الاحرار ، لأن كل حر كان يملك من العبيد مالا يقل عن ستة أشخاص ، وكان هذا النظام أمراً طبيعيا فى حياة الاغريق لدرجة أن الفلاسفة أنفسهم كانوا يقولون إن الرقيق حيوانات مستأنسة تمتاز بالعقل ، وقال بعضهم إن بعض الناس قد خلق للرق بينما خلق البعض الآخر للسيادة ، ونستطيع أن نؤكد هنا أن المدنية الاغريقية الزاهرة انما نتجت عن نظام الرق ، وتفسير ذلك أن هذا النظام أوجد طائفة للعناء والكد ، وترك أخرى تعيش ناعمة راضية ، واستطاعت هذه الفئة المنعمة أن تتفرغ للعلوم والآداب والفنون ، فظهرت بذلك ثقافة الاغريق التى أدهشت العالم بجمالها وبساطتها وقوتها ، والحقيقة أن مدنية الاغريق الخلابة أشبه بمنارة عالية ينبعث النور من قمتها ، بينما ترتكز قاعدتها على أعناق الرقيق الذين يسحقهم ثقلها سحقا .

٦ – ظهور مقدونيا

مقدونيا

فى الوقت الذى كانت فيه ولايات البلوبونيز تتطاحن فى الجنوب كانت دولة مقدونيا آخذة فى أسباب الظهور والقوة فكان ملوكها يدخلون حضارة اليونان فى بلادهم ويعملون جهد استطاعتهم على أن يكونوا أصحاب الزعامة بين ملوك اليونان .

فيليب

وأهم هؤلاء الملوك « فيليب » المقدونى الذى قضى ثلاث سنوات من شبابة فى طيبة تعلم خلالها تعبئة الجيوش وتسيير الشؤون السياسية ، ولم يلبث بعد عودته إلى مقدونيا أن ألف جيشاً منظما لم تر بلاد اليونان مثلة، ثم بدأ يوسع ملكه حتى دانت له بلاد الأغريق من أقصاها إلى أقصاها بعد أن انتصر فى وقائع كثيرة أهمها واقعة قيرونة (٣٣٨ ق . م .)

ديموسينيس

ولما رأى (ديموسينيس) أخطب خطباء الأغريق أن (فيليب) يرغب فى إذلال الأغريق وإخضاعهم لمقدونيا وقف فى وجهه وبذل قصارى جهده فى سبيل ايقاف التوسع المقدونى ، وظل يكافح ضد (فيليب) أربعة عشر عاما لم يتأثر خلالها بالتهديد والوعيد ، ولم تبعده عن غايته الرشوة والوعود الخلابة ، ولكن عند ما انتصر (فيليب) أخيراً فى واقعة قيرونة الشهيرة التي حضرها (ديموسينيس فرَّ من وجه (فيليب) وعاش فى إحدى الجزر .

وقد وصل الينا من خطبه ستون قطعة تعتبر من أهم النماذج الخالدة فى أدب الاغريق.

محاربة الفرس

وكان « فيليب » يرغب فى محاربة الفرس والانتقام منهم من أجل غزوهم لبلاد اليونان فى عهد (دارا) وخلفه (اجزرسيس) وبدأ يعد المعدات لحملة شديدة يقضى بها على الفرس القضاء الأخير، ولكن الأجل لم يمهله حتى يتم مشروعه هذا فمات عام ٣٣٦ ق.م. بطعنة من يد أحد رعاياه، وبموته تولى حكم الأغريق ابنه (الاسكندر)

الاسكندر الاكبر

تولى الاسكندر وهو فى العشرين من عمره، وكان شابا شجاعاً ظهرت مهارته الحربية فى واقعة قيرونة التى سبق ذكرها، وظن الأغريق أنه لا يستطيع حكم مملكة (فيليب) فثاروا عند ماتولى عليهم، ولكن الاسكندر أظهر نبوغه فى إخماد نار الثورة قبل أن يقوى لهيبها، وكان جزاء مدينة طيبة زعيمة الثورة أن خربها الاسكندر تخريباً تاما.

غزو فارس

وفى عام (٣٣٤ ق. م.) عبر الاسكندر بوغاز الدردنيل على رأس جيش مدرب تعداده ٣٥ الف جندى والتقي بجيوش الفرس وبينهم بعض الأغريق المرتزقين عند نهر غرانيق، وهناك هزمهم الاسكندر هزيمة حاسمة كانت نتيجتها أن أصبحت آسيا الصغرى كلها تحت أقدامه، ثم توغل فى البلاد حتى قابل (دارا الثالث) ملك الفرس على رأس جيش عظيم عند (إسوس) الواقعة في سهل صغير فى الركن الشمالى الشرقى من البحر الأبيض المتوسط، وهناك انتصر الاسكندر نصراً مبينا عام (٣٣٣) ق. م. وفى هذه الموقعة فر (دارا)

وذبح معظم جنده وتفرق من نجا منهم ، أما أسرة (دارا) فقد وقع معظم أفرادها فى يد الاسكندر .

غزو فينيقيا

بعد هذا تحول الاسكندر نحو الجنوب واستولى على دمشق وموانىء فينيقيا ولم يجد مقاومة تذكر إلاَّ فى ميناء صور القديمة التى دام حصارها سبعة أشهر ، وأخيراً سقطت فى يد الاسكندر بعد قتال عنيف دافع فيه الصوريون عن بلدهم دفاعاً مجيداً ، ولما دخلها أسر أهلها وقتل منهم عدداً عظيما .

وكانت نتيجة هذا الفتح أن أرسل (دارا) رسله إلى الاسكندر يطلب الصلح ويظهر له الخضوع ، وعرض عليه أن يتزوج ابنته وأن يأخذ نصف الامبراطورية الفارسية مهراً لها ، فرفض الاسكندر بإباء وعزة نفس ، حين ذاك قال (بارمينو) أحد قواد الاسكندر (إنى أقبل الصلح على هذه الشروط لو أننى كنت الاسكندر) فأجابه الاسكندر على الفور (وإنى لا شك أقبل لو أننى كنت بارمينو)

غزو مصر

ومن فينيقيا سار الاسكندر نحو مصر فلم يلق أية مقاومة بل بالغ أهلها فى الترحيب به ، ويرجع هذا إلى أنهم كانوا يكرهون الفرس ويرغبون فى التخلص من حكمهم لما أصابهم من عسفهم وظلمهم فى الماضى .

أعماله بمصر

وكان الاسكندر يحترم معبودات المصريين ويقدم لها الضحايا والقرابين ، ومن أهم أعماله الخالدة بمصر أن أسس عام ٣٣٢ ق . م . مدينة الاسكندرية قرب مصب الفرع الغربى للنيل . ولم يكن يتنبأ

بأنها ستصبح أعظم مدينة فى العالم بعد روما . وربما كان غرضه من تأسيسها أن يصل مصر ببقية أجزاء امبراطوريته بايجاد عاصمة بحرية تجارية على ساحل البحر المتوسط يسكنها قوم خليط من الاغريق والمصريين .

ابن آمون

بعد هذا سار الاسكندر إلى معبد أمون فى واحة سيوة على مسيرة خمسة أيام فى الصحراء اللوبية الغربية ، وهناك لقبه كبير الكهنة (ابن امون) وتنبأ له بأنه سيفتح الدنيا ، فاعتقد الاسكندر أنه حقيقة من نسل الآلهة وبدأ يطلب من رعاياه أن يعبدوه .

واقعة أربيلا ٣٣١ ق. م.

وخرج الاسكندر من مصر متوجها نحو قلب الامبراطورية الفارسية حيث كان ينتظره (دارا الثالث) على رأس جيش كثيف ، فقد كانت جيوش الفرس تربو على قوات المقدونيين أكثر من عشرين مرة ، ولكن كثرة العدد لم تغن شيئا بجانب مهارة الاسكندر وحسن تنظيم جيشه ، فانهزم (دارا) وفر من الميدان ورحب البابليون بالاسكندر واستقبلوا جنده أحسن استقبال ، ومن بابل عبر الاسكندر جبال (زاجروس) ودخل بلاد الفرس نفسها واستولى على عاصمتهم (سوس) بما فيها من كنوز الذهب والفضة والأحجار الكريمة التى قدرت قيمتها بما يقرب من ثلاثين مليونا من الجنيهات .

غزو الشرق

وبعد أن استراح الأسكندر شهورا قليلة تتبع (دارا) كى يرغمه على التنازل عن العرش ، إلا أن (دارا) قتل قبل أن يقبض عليه الاسكندر فسار جيش المقدونيين حتى أفغانستان الحالية ومنها دخل

سمرقند وبخارى ، وأخيرا جاوز يكتريا إلى حدود الهند فعبر جبال هندكوش واخترق أقليم البنجاب ، وهناك امتنع رجاله عن التقدم أكثر من هذا رغم الحاحه ، فعاد بهم عن طريق نهر السند حتى وصل إلى مصبه وشاهد مياه المحيط الهندى ، ويعتبر الاسكندر أول من كشف مجرى هذا النهر منذ أكثر من ألفى سنة ، ومن مصب السند سار نحو (سيس) عاصمة فارس ومنها إلى بابل وكان قد أتم المعدات لغزو بلاد العرب ، ولكن أصابته حمى وهو فى بابل قضت على حياته وهو فى الثانية والثلاثين فى (يونيه ٣٢٣ ق.م.) وبموته فاضت أعظم روح عرفها التاريخ القديم .

نتائج فتوحه

كان يرمى الاسكندر إلى صبغ آسيا بالصبغة الأغريقية ، ولقد نجح فى هذا إلى حد كبير ، فقد كان أفراد الأسرات الحاكمة يتخاطبون باللغة الأغريقية من الهند شرقا إلى إيطاليا غربا ، وانتشرت الثقافة الأغريقية فى الشرق واتصل التجار الأغريق بالهند ومن ثم عرفوا الحرير الصينى الذى كانت تجارته عقدة الاتصال بين الصين والبلاد الأغريقية .

أما نتائج فتوح الاسكندر فى بلاد الأغريق نفسها فقد كانت سيئة لأن عددا عظيما من سكان البلاد نزح إلى الأقاليم الشرقية واستوطنها ، وهذا أدى إلى سقوط هيبة المدن الأغريقية وضياع أهميتها ، فحلت الاسكندرية محل أثينا وأصبحت مهبط العلوم والمعارف الأغريقية .

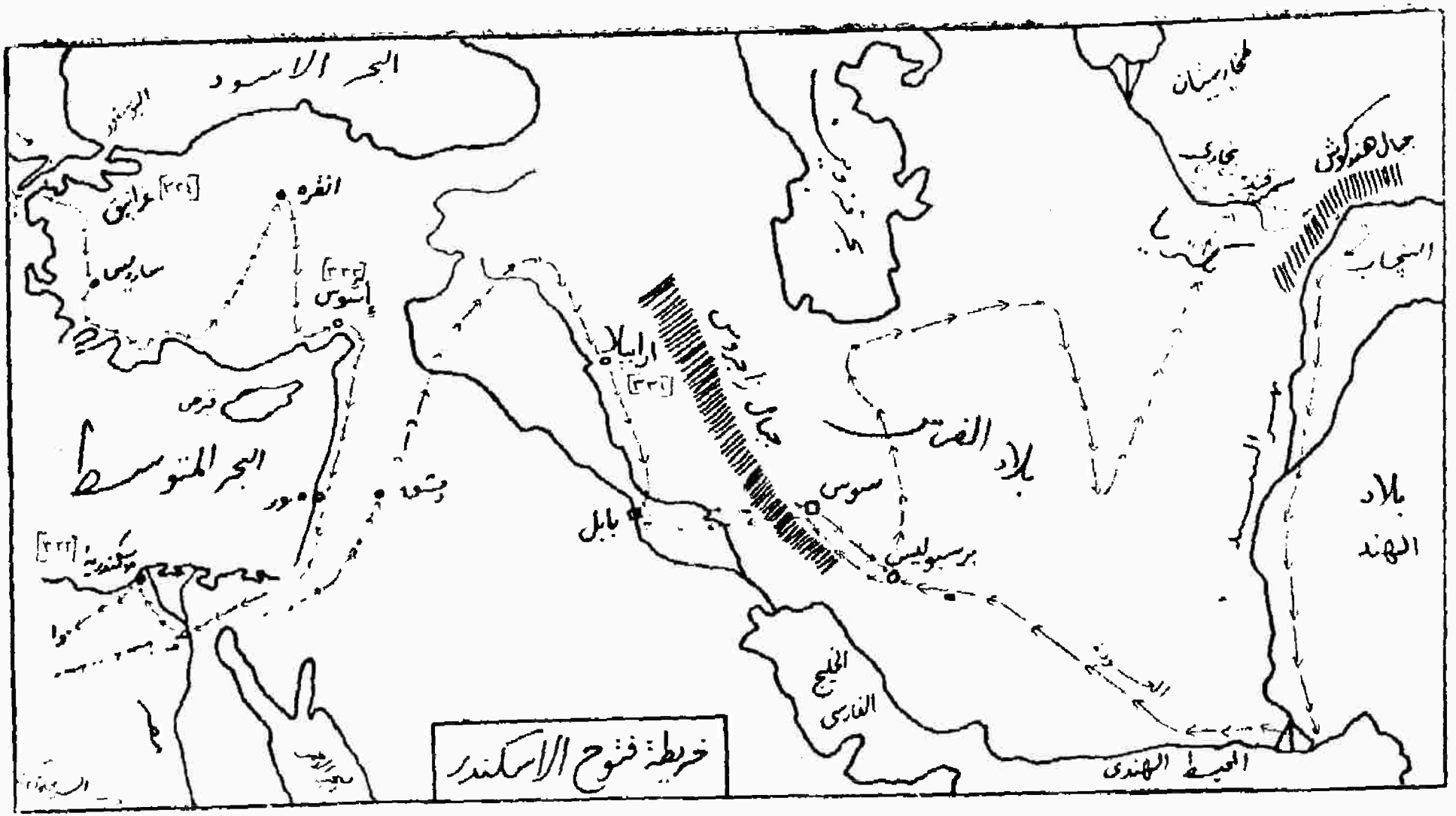
البحر الاسود
انقره
[٣٢٤] غرانيق
ساردس
[٣٣٣] إسوس
قرص
البحر المتوسط
صور
دمشق
[٣٣٢] اسكندرية
بابل
[٣٣١] اربيلا
جبال زاغروس
سوس
برسيبوليس
بلاد الفرس
بلاد الهند
الخليج الفارسي
المحيط الهندي
جبال هندكوش
السند
خريطة فتوح الاسكندر

٧ — قيام دولة البطالسة

تمهيد

تنبأ الأسكندر بمصير امبراطوريته فقال قبل وفاته كلمته الخالدة : « إن أصدقائى سيحتفلون بتشييع جنازتى إحتفالا دمويا » ومعنى هذا أنهم سيتنازعون على تقسيم أملاكه بعد موته .

وراثة العرش

وترك الأسكندر من بعده أخاً غير شقيق يدعى (أريدوس) ثم وضعت (زوجة الاسكندر) ولداً سمى (الأسكندر الصغير) فأعلن ملكاً بالاشتراك مع عمه أريدوس ، وجعل برديكاس احدقادة الأسكندر وصياً على الملك الصغير ، ولكن لم يكن لأيهما من الملك أكثر من اللقب ، أما السلطة الفعلية فكانت موزعة بين الاشراف والقادة الذين قسموا امبراطورية الأسكندر فيما بينهم ، وفى هذا التقسيم كانت مصر وما يلحق بها من فتوح الاسكندر فى الصحراء الليبية والعربية من نصيب القائد (بطليموس) بن (لاجوس) مؤسس دولة البطالسة ، وظل (بطليموس) يعتبر نفسه والياً من قبل ابن الأسكندر وأخيه ولم يعلن نفسه ملكا على مصر إلا سنة ٣٠٥ ق . م . أى فى العام السابع عشر من موت الأسكندر .

نقل جثة الاسكندر

وقد استهل بطليموس حكمه بنقل جثة الأسكندر من بابل إلى مصر وذلك تفانياً فى الاخلاص لسيده الذى صحبه من قبل فى حملاته الاسيوية والذى قضى معه معظم حياته ، على أن برديكاس كان يرغب فى نقلها إلى مقدونيا ومن أجل هذا قام بينه وبين

بطليموس نزاع طويل انتهى بانتصار الأخير ،ويرجح علماء الآثار أن بطليموس دفن جثة الأسكندر فى الموضع المعروف الآن بقبر النبي دانيال فى الأسكندرية ، وقد بدأ التنقيب عن المقبرة فى أوائل عام ١٩٣٠ على أمل العثور على التابوت الذهبي الذى أودعت فيه الجثة ،ولكن الأستاذ (برتشيا) الذى كان أمين متحف الأسكندرية وأعضاء اللجنة المعهود اليهم التنقيب عن قبر الأسكندر عدلوا فى أواخر شهر يوليه سنة ١٩٣١ عن البحث لأنهم تأكدوا أن هذا البحث — فضلا عن أنه يستنفد جهداً عظيما ومالا طائلا — عديم الفائدة ، وذلك لأن المصادر التاريخية التى يعتمد عليها فى البحث عن المكان الذى دفن فيه الأسكندر غير متفقة على تعيين مكان دفن فيه أو حفظت به جثته فى مدينة الاسكندرية .

حروبه

ولم يلبث بطليموس الاول بعد هذا أن وسع أملاكه بالاستيلاء على سوريا وبيت المقدس وبلاد فينيقيا عام ٣٢٠ ق .م . ثم استولى على جزيرة قبرص فأصبحت لمصر السيادة على البحر المتوسط .

أعماله

ويتميز الشطر الأخير من حياته بانصرافه إلى ترقية الشئون العلمية والأدبية ، فأسّس فى الاسكندرية مجمعاً علمياً « أكاديمية » كان يجتمع فيه العلماء والفلاسفة الذين كرّسوا حياتهم لخدمة العلم ، ثم ألحق به مكتبة فاخرة جمع لها الكتب من أنحاء العالم المعروف ، حتى بلغ عدد مجلداتها فى عهد ابنه بطليموس الثاني أكثر من ١٠٠٫٠٠٠ وفوق اهتمامه بتشجيع العلماء فقد كان نفسه مؤلفاً وضع كتاباً فى تاريخ حروب الاسكندر كان حجة فى الرواية ،

إلا أنه ضاع ولم يصل إلى أيدينا منه شيء .

سياسته الدينية

هذا وقد كان يحترم ديانة المصريين ويقدم القرابين للآلهة ، وينسب له أنه أقام معبداً فخماً بالاسكندرية أسماه معبد (السرابيوم) نسبة إلى الاله (سرابيس) الذى نقل تمثاله من بلاد بنت ، وهذا المعبد يفوق فى جماله معابد العالم كلها إلا معبد الكابتول فى روما ، ثم ألحق بالمعبد مكتبة أخرى تابعة لمكتبة الاسكندرية الكبرى .

تنازله عن العرش

وفى عام ٢٨٥ ق . م . نزل بطليموس عن العرش لأبنه بطليموس الثانى الملقب بفيلادلف ، ثم عاش بعد هذا الحادث عامين ومات عام ٢٨٣ ق . م . فى الرابعة والثمانين من عمره .

تقدير لشخصه

وبطليموس الأول أكفأ وأعدل وأعظم ملوك البطالسة ، ففى خلال الأربعين عاماً التى حكمها بعد وفاة الاسكندر جعل مصر تفوق كل ممالك الدنيا المعاصرة له ، وكان محبوباً من رعيته محباً للبساطة فى حياته الخاصة لدرجة أنه كان يخالط الناس ويتناول معهم الطعام فى بيوتهم ويدعوهم إلى مائدته ، وكان يعتقد أن الملك العظيم هو الذى يجلب الغنى والرفاهية لشعبه لا لنفسه .

فيلادلف
٢٨٥ — ٢٤٧
ق. م.

وكانت سياسة بطليموس الثانى الملقب «فيلادلف» ترمي إلى جعل الأسكندرية أفخم مدينة فى العالم ووسطاً للثقافة ، ففي عهده عظم شأن المكتبة والأكاديمية واصبحتا محطّ رحال العلماء من كل نواحى الدنيا ، ومن أهم المشروعات العلمية التى تنسب إليه أن أمر بتأليف لجنة مكونة من ٧٢ عالماً عبرانيا نقلوا التوراة من العبرانية

إلى الاغريقية ، ثم أمر الكاهن المصرى السمنودى مانيتون بتدوين تاريخ الأسرات المصرية القديمة .

سياسته الخارجية

وأرسل فيلادلف رسله إلى الغرب يخطب صداقة الجمهورية الصغيرة التى كانت آخذة إذ ذاك فى أسباب الظهور على ضفاف التيبر ، تلك هى جمهورية روما ، فرد عليه مجلس الشيوخ الرومانى بالقبول وعقدت بين مصر وروما معاهدة صداقة من أهم نتائجها أن ظلت مصر محايدة طوال الحروب البونية ، وأن تجولت الأساطيل المصرية التجارية فى غرب البحر المتوسط واتصلت بروما بعد أن كانت لا تجاوز الجهات الشرقية .

التجارة

أما اهتمامه بالتجارة فقد كان عظيما جداً ، فهو الذى أعاد حفر خليج سيزوستريس وأمّن طريق القوافل بين النيل والبحر الأحمر عن طريق وادى الحمامات ، ثم أقام فى الاسكندرية « منارة فاروس » التى تعد من عجائب الدنيا السبع ، كان موقعها فى المكان المسمى الآن « بحصن قايتباى » ، ولا تزال حتى اليوم كتل صخرية من أنقاض هذا البناء العظيم ملقاة على الشاطىء تغسلها مياه البحر المتوسط ، أما بقية البناء فقد دمرته هزة أرضية عنيفة عام ١٣٠٧ ميلادية .

فائدة المنارة

ولم تكن فائدة المنارة قاصرة على هداية السفن ليلاً بل تعدت هذا إلى التنبيه عند اقتراب أية سفينة من الميناء وذلك بواسطة المرآة العجيبة التى تعكس أشعة الشمس نهاراً وأشعة المصباح ليلاً إلى مسافة

تزيد عن ثلاثين ميلاً فى البحر وعلى ضوء هذه المرآة كانت ترى السفن الخارجة من الميناء والقادمة نحوها .

وصفها

ويقال إنها كانت بناء هائلاً من الحجر الأبيض الجميل مكوناً من أربع طبقات يبلغ ارتفاعها فى مجموعها ٥٠٠ قدما وإن قمتها كانت على شكل قبة ينبعث منها الضوء بقوة غريبة وإنها بنيت على يد مهندس ماهر يدعى « سوستراتاس »

آثاره الاخرى

ومن أهم الآثار التى تنسب إلى فيلادلف جزء من (معبد فيله) المعروف بمعبد (أنس الوجود) المقام على جزيرة قرب الجندل الأول .

تقدير لحكمه

وبالاختصار فقد عظم شأن مصر فى عهد فيلادلف وانتشرت تجارتها فى البحر المتوسط واتصلت كذلك ببلاد العرب والهند والحبشة عن طريق البحر الأحمر ، وأصبحت الأسكندرية بلد التجارة والثقافة والفلسفة وزاد فى عهده عدد الأغريق الذين يستوطنون مصر وكان فيلادلف يشجعهم على الأقامة بها فاقطعهم أرضاً قرب الفيوم وبموته عام ٢٤٧ ق.م. ترك العرش لأكبر أبنائه بطليموس الثالث .

ويبدأ بطليموس الثالث (٢٤٧ — ٢٢٢ ق.م.) حكمه بغزو سوريا لينتقم لمقتل أخته الأميرة « برنيس » التى كانت زوجة ملك سوريا ، وبعد أن تم له إخضاعها تقدم حتى بابل وسيس عاصمة الفرس فاستولى عليها جميعا وظل يتوغل شرقا حتى حدود بكتريا والهند ، وأخيراً عاد إلى مصر يحمل الغنائم العظيمة التى بينها كثير من التماثيل المصرية التى كان قد نقلها قمبيز إلى بابل وبلاد فارس .

أما في إفريقيا فقد استولى على برقة أو طرابلس الحالية ، وفى السنوات الأخيرة من حكمه أخضع القبائل النوبية على الحدود الجنوبية لمصر وتقدم حتى ميناء (أدول) على البحر الأحمر .

مدخل معبد خنسو بالكرنك من عهد البطالسة

ولكن هذه الأملاك الواسعة لم تلبث أن ضاعت بعد بطليموس لضعف مركز مصر الحربى فى عهد الملوك الذين جاءوا من بعده .

آثاره

ومن آثاره الهامة (معبد إدفو) وهو لا يزال حافظا لرونقه حتى اليوم .

بطليموس الرابع

ويعتبر عهد بطليموس الرابع (٢٢٢ — ٢٠٥ ق . م .) بدء اضمحلال مصر ، ويتميز بسلسلة من الجرائم الشنيعة فقد أعدم أمه « برنيس » وأخاه « ماجوس » وعمه « ليسيماكوس » وانغمس بعد هذا فى حياة فاحشة خليعة تاركا شئون الدولة فى يد أحد وزرائه ، فانتهز ملك سوريا هذه الفرصة واستولى على معظم أملاك مصر

فى سوريا وفلسطين وبقى بطليموس منصرفا عن صالح البلاد حتى مات عام ٢٠٥ ق.م.

الحالة الفكرية

ومع كل هذا فلم يكن أقل من أسلافه في تشجيع الحركة الأدبية وتقريب العلماء والفلاسفة والأدباء، وبموته تولى ابنه بطليموس الخامس وهو طفل فى الخامسة من عمره.

حضارة البطالسة المحكومة

كانت الأسرة الحاكمة إغريقية الأصل، ولكن ليس معني هذا أن مصر كانت تحكم حكما أجنبيا، فالبطالسة رغم أنهم من الأغريق فقد تمصّروا واحترموا ديانة المصريين واندمجوا فى الشعب المصرى وظهروا فى الحفلات بزى فراعنة مصر الأقدمين، ولذا تعتبر مصر فى أيامهم فى مصاف الدول المستقلة.

العلوم والآداب

ونشطت العلوم والآداب وأصبحت الاكاديمية محط رحال الطلاب والعلماء من كل الدنيا، وأهم علماء الاسكندرية (إقليدس) صاحب النظريات الهندسية التى يدرسها التلاميذ فى مدارسنا اليوم، ثم (أرشميدس) العالم الطبيعى ومن بينهم (أراتوستين) الذى كان أمينا لمكتبة الاسكندرية، وهو عالم ضليع له مؤلفات فى الجغرافية والفلك والهندسة، وهو أول من اهتدى إلى معرفة طول محيط الأرض، ووضع فوق هذا تعديلا لخريطة الدنيا، ومن بين العلماء النابهين (ديونيسوس) الذى وضع قواعد الأجرومية الاغريقية (وبطليموس) الجغرافى الشهير، والمهم فى هذه الحضارة العلمية أنها كانت ذات صبغة إغريقية محضة.

الآثار

ومن أهم آثارهم معبد إدفو الذى بناه بطليموس الثالث ومعبد فيلة الذى بنى الجزء الأعظم منه فيلا دلف ومعبد دندره الذى أقامته كليوباترا وكلها على الطراز المصرى القديم. ثم بعض التماثيل المحفوظة فى متحفى القاهرة والاسكندرية.

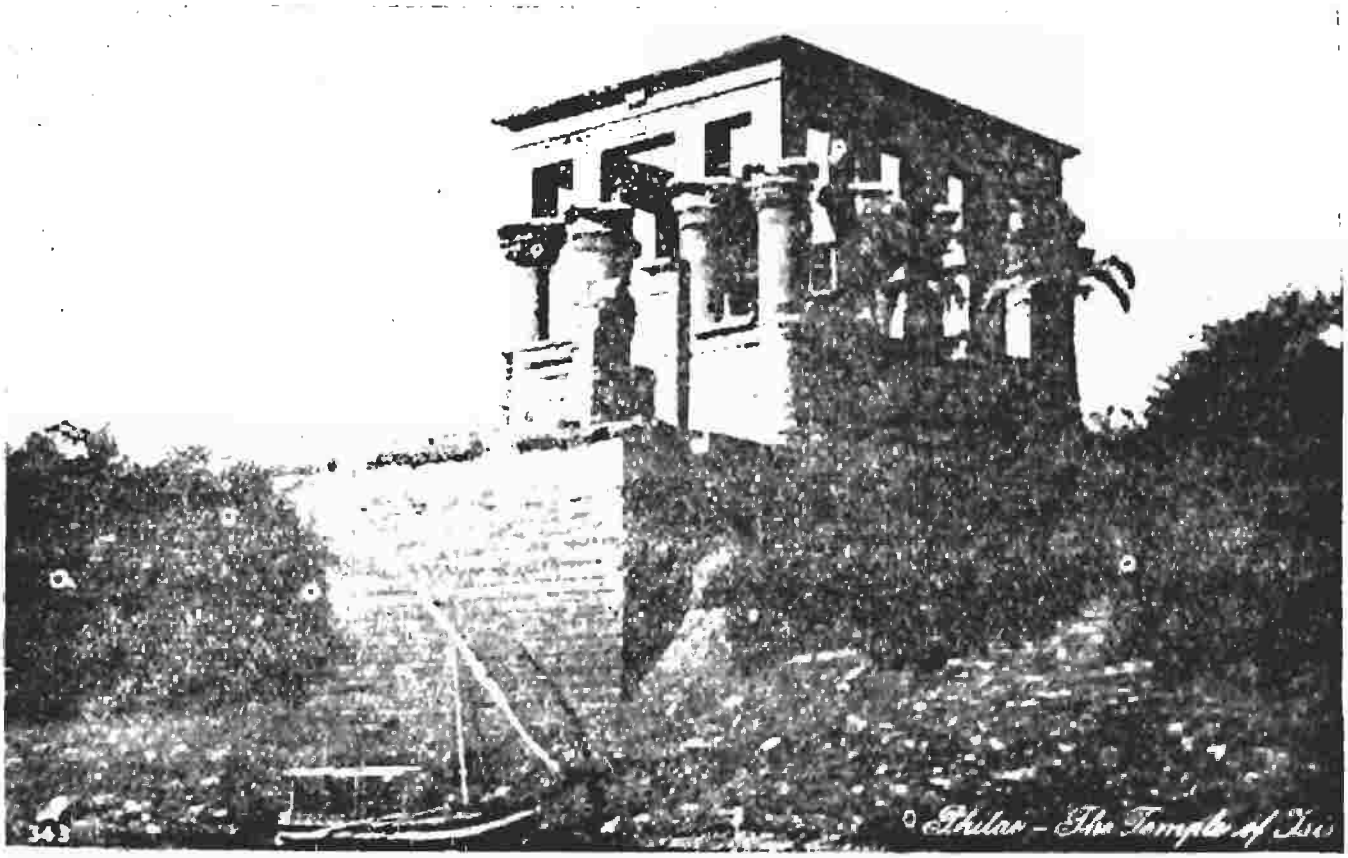

« معبد إزيس فى فيلة »

٨ — كيف نشأت روما

إيطاليا القديمة

روما عاصمة إيطاليا ، وإيطاليا إحدي أشباه الجزر الثلاث التى يتكون منها جنوب أوروبا والتي تغسل شواطئها مياه البحر المتوسط ، وتحدها الآن من الشمال جبال الألب ، ولكن فى الوقت الذى تأسست فيه روما عام (٧٥٣ ق. م.) كانت المنطقة الواقعة بين جبال الألب وجبال أبنين ، والتى نسميها الآن سهل لمبارديا تابعة لقبائل الغالة وكانت تسمي (غاليا) وكانت تسكن قبائل (الاتروريين) إلى ناحية الغرب من جبال أبنين ونهر التيبر ، والاتروريون من أقوى الأجناس فى شبه الجزيرة كلها . وسميت بلادهم (تسكانيا) نسبة اليهم ، وفى جنوب قبائل الغالة والاتروريين كان يسكن الايطاليون وأهم أجناسهم (اللاتين) الذين سكنوا فى السهل الواقع جنوب نهر التيبر ، وكانوا يفلحون الأرض ويعيشون فى قرى متفرقة تكاد تكون مستقلة ، ولكنهم كانوا يجتمعون فى مناسبات خاصة فيكوّنون باجتماعهم مايسمى بالعصبات ، وكان يسكن فى (سيراكوز) بجزيرة صقلية جماعات من الأغريق وكان إلى جانبهم القرطاجنيون الذين أسّسوا لهم مستعمرة فى صقلية تشمل الأجزاء الغربية من هذه الجزيرة .

تأسيس روما

وحدث عام ٧٥٣ ق. م. أن أقام اللاتين مستعمرة على نهر التيبر كى تحمي النهر من غارات الاتروريين أطلقوا عليها روما ، وسرعان ماعظم

شأنها لمناعة موقعها ولأهميتها من الناحية التجارية .

مدينة روما

وأسست رروما على ضفتى التيبر على بعد خمسة عشر ميلا من مصبه ، وكانت فى أول أمرها تتكون من بعض بيوت قليلة على تل صغير بجانب النهر حولها سور بسيط ، ولكن بزيادة عدد السكان ضمت اليها تلال أخرى وجعل السور حولها كلها ، ولم يمض مائة وخمسون عاما من تأسيسها حتى شملت ضمن حدودها سبعة تلال ومن ثم سميت (مدينة التلال السبعة)

أثر العوامل الطبيعية

وكان لموقع روما الجغرافى أكبر الأثر فى نموها وتقدمها فلديها من كل النواحى الفراغ الذى يسمح لها بتوسيع حدودها تبعاً لزيادة عدد سكانها ، وقد جعلها نهر التيبر على اتصال مباشر بالبحر حيث نشأت لها هناك ميناء تجارية هامة اسمها (أوستيا ـ *Ostia*) أضف إلى هذا أن توسط روما فى شبه الجزيرة أكسبها موقعا حربياً فائقا ، ولا يصح أن نغفل أن موقع روما فى وسط إيطاليا ـ تلك البلاد السهلة المتصلة الأجزاء ـ يختلف عن موقع أثينا فى بلاد الأغريق ذات الفواصل الطبيعية كالجبال والخلجان ، فروما كانت علي التيبر فى مكان حصين ولكنها برغم ذلك مكشوفة معرضة للغزو ولذا عاش أهلها على أهبة للحرب فى كل وقت ، ومكنتهم مقدرتهم الحربية فيما بعد من التغلب على قبائل اللاتين ومن ثم تغلبوا على شبه الجزيرة بأسرها ، ومما هو جدير بالذكر هنا أن روما تقع فى سهل له نصيب وفير من الخصب ، وهذا ساعد على أن تقوم فيها بيئة نشيطة تفلح الأرض وتستثمرها ، ثم أدى نشوء

البيئة الزراعيـة إلى قيام جماعة مستقرة لها حكومتها وقوانينها وصناعاتها .

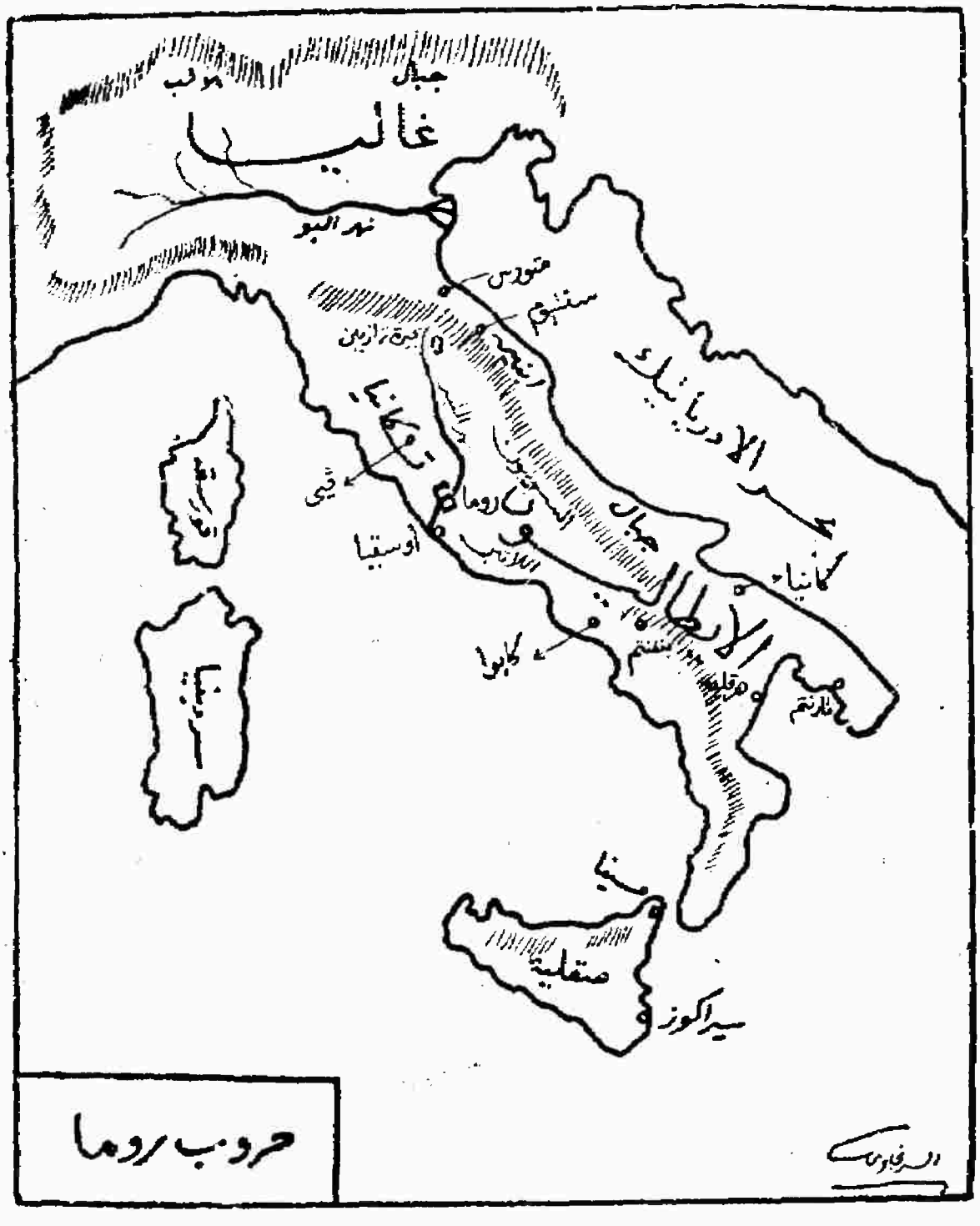

٩ — نمو سلطة روما

(١) السيادة على ايطاليا

غزو اتروريا

عرفنا أن الأتروريين كانوا فى بداءة الامر سادة روما وملوكها قبل العهد الجمهورى ، ثم كان بعد هذا أن دام النزاع بين الرومان والاتروريين زمناً ختم باستيلاء الرومان عام ٣٩٦ ق . م . على مدينة (في) عاصمة الأتروريين الحصينة التى حاصرها الرومان أكثر من عشر سنوات ، وبسقوطها انقطع نظام الأتروريين وبقى الرومان يتوغلون فى أملاكهم ويستولون علي بلد بعد آخر حتى سقطت كلها فى أيديهم ، ولعل الذى ساعد علي نجاح روما أن الأتروريين كانوا فى حرب مع أعدائهم الغال والأغريق .

الغال يغزون روما

وبعد ست سنوات من سقوط (في) نزل الغال من حوض نهر البو نحو الجنوب فى حملة مروّعة قاصدين روما فهزموا الجيش الرومانى عام ٣٩٠ ق .م. ودخلوا روما وأحرقوا جانبا عظيما منها ، وأخيراً جلوا عنها بعد أن قدمت لهم فدية كبيرة من الذهب ، وفى هذه النكبة المشومة أحرقت السجلات العامة وضاع الكثير من مراجع التاريخ الرومانى .

الحلف اللاتينى

وأول ما عمل الرومان بعد ذلك أن صيَّروا جيرانهم اللاتين رعايا لهم بعد أن كانوا حلفاءهم ، ثم غزوا أرض السمنيين وانتصروا عليهم عام ٢٩٥ ق . م . فى واقعة سنتيوم الفاصلة .

السمنيون

وكان السمنيون ألدَّ أعداء روما وهم لا يقلون عن الرومان فى

الشجاعة والمهارة الحربية ، ولكنهم يفقدون القيادة الرشيدة التى كانت تتمتع بها روما فى أشخاص شيوخها ، وضم السمنيون اليهم الأغريق والأتروريين والغال لمحاربة روما ، ولكن انتصرت روما عليهم جميعا وأصبحت بذلك سيدة إيطاليا كلها .

الحرب مع بيروس

وكانت مدينة تارنتم الغنية لا تزال محافظة على استقلالها ولكنها كانت تخشى أن تقضي سفن روما الحربية علي تجارتها فى بحر الادرياتيك ، فاستنجدت بالملك بيروس صاحب مقاطعة (أبيروس) الأغريقية .

واستطاع (بيروس) عام ٢٨٠ ق . م . أن يهزم الرومان فى واقعة (هرقليا) ولكن استبسالهم فى الحرب جعل (بيروس) يعجب بهم ويقول كلمته الشهيرة (لو أظلّت رايتى جنداً كالرومان لفتحت بهم الدنيا) وفى العام التالى أحرز نصراً آخر ولكنه كلفه خسارة فادحة ، ثم حارب الرومان مرة أخرى عام ٢٧٥ فهزموه هزيمة حاسمة فى واقعة (بنفنتم) ، ولما فقد كل أمل فى الانتصار عبر الأدرياتيك وعاد خائباً إلى بلاده تاركاً الرومان يستولون على المدن الأغريقية ، وبذا أصبحت روما سيدة إيطاليا من أقصاها إلى أقصاها .

٩ — نمو سلطة روما

(٢) الحروب بين روما وقرطاجنة

٢٦٥ — ١٤٦ ق . م .

أصل قرطاجنة

قرطاجنة مدينة على ساحل أفريقيا الشمالى عند أقرب نقطة من هذا الساحل لجزيرة صقلية ، وهى مستعمرة أسسها الفينيقيون فى القرن التاسع قبل تأسيس روما بأكثر من مائة عام ، ولكنها سارت فى سبيل النمو والقوة بخطوات أوسع من خطوات روما لاشتغالها بالتجارة .

حكومتها

وكانت تشبه روما فى أنها لم تكن تحكم حكما ملكيا ؛ بل كان الأشراف الذين أثروا عن طريق التجارة هم القابضون على زمام الأمور فيها .

أملاكها

وكان كل النصف الغربى لساحل أفريقيا الشمالى خاضعا لقرطاجنة ثم إن جنودها وتجارها كانوا يحتلون صقلية الغربية وسردينيا وقرسقا وساحل اسبانيا ، وعلى الجملة فقد كانت قرطاجنة أهم مركز تجارى فى البحر المتوسط فى الوقت الذى انحطت فيه منزلة الفينيقيين فى الشرق .

الحروب مع روما

ويسمى الكفاح الذى دام طويلا بين روما وقرطاجنة بالحروب الفونيقية أو البونيقية نسبة إلى فينيقيا ، استعرت نارها عام ٢٦٥ ق . م . ووضعت أوزارها عام ١٤٦ ق . م . أى أنها بقيت ١١٩ عاما ولكنها كانت تشبه حروب البلوبونيز الأغريقية من

حيث أن فترات طويلة من السلم كانت تتخلل أدوارها، وتتلخص أسبابها فيما يلى :

أسبابها

(١) كانت روما وقرطاجنة تتنافسان على السيادة فى البحر الأبيض المتوسط وترغب كل واحدة منهما فى التسيطر عليه لتوسيع حدودها ونشر تجارتها .

(٢) لم تكن روما تأمن على شواطئها من غارات أسطول قرطاجنة القوى ، ولم يكن التجار الرومان يستطيعون الخروج إلى جهات بعيدة عن شواطئهم إلا بأذن من قرطاجنة .

(٣) تحول التنافس بينهما إلى كراهية شديدة وخاصة لاختلافهما فى الجنس والدين واللغة .

الحرب الاولى (٢٦٥ — ٢٤٢ ق. م.)

السبب المباشر

أما السبب المباشر الذى أدى إلى الحرب الأولى فيتلخص فى أن بعض قراصنة البحر الايطاليين استوطنوا مدينة مسينا وهى أقرب مدينة لايطاليا ، ورغب الفينيقيون والاغريق على السواء فى إجلائهم عنها فاستنجد القراصنة بروما ، ولما كانت سياسة روما ترمى إلى ابعاد الفينيقيين عن صقليه فقد أرسلت جنودها مدداً للقراصنة ، وهكذا بدأت الحرب الأولى التي دامت اثنين وعشرين عاما من ٢٦٥ إلى ٢٤٢ ق. م. ، وفى أثنائها اضطر الرومان إلى تقوية أسطولهم .

ختام الحرب الاولى

ولم تأت سنة ٢٤٢ حتى كانت قرطاجنة قد انهكتها الحرب فرغبت فى الصلح ، وكان قد ظهر بين أشرافها (هملكار)

الملقب (بالبرق) فرأى أن قرطاجنة فى حاجة إلى إيقاف الحرب لتقوية نفسها وتدريب جندها على الحرب البرية .

شروط الصلح

وفى عام ٢٤١ عقد الصلح بين الطرفين على الشروط الآتية :

(١) يخلى القرطاجينيون جزيرة صقلية بأسرها .

(٢) لا يحاربون (سيراكوز) مرة أخرى .

(٣) يتعهدون برد جميع الاسرى الرومان من غير فدية .

(٤) يدفعون للرومان فى خلال عشر سنوات غرامة حربية تقدر قيمتها بمبلغ ٧٥٠ الف جنيه على أن يدفع ثلثها مقدما .

أهمية الصلح

ويلاحظ أن هذا الصلح أكسب روما أرضا خارج حدود شبه جزيرة إيطاليا . إلاَّ أنه يعتبر هدنة مسلحة لأن كل فريق بدأ يقوى نفسه استعداداً لحرب مقبلة .

الحرب الثانية ٢١٨ — ٢٠١ ق . م .

حنيبال فى إيطاليا

كان « هنيبال » قد وعد أباه هملكار وهو غلام بالانتقام من روما ، ثم ما لبث أن حقق وعده وأظهر وهو فى التاسعة عشرة أنه جدير بأن يوضع فى صف الاسكندر وقيصر ونابليون ، ففي ربيع عام ٢١٨ عبر جبال البرانس يقود جيشا مكونا من تسعين الفاً من المشاة واثنى عشر الفاً من الفرسان كان قد دربهم جميعا بنفسه ، وظل فى زحفه حتى عبر جبال الألب الغربية ونزل وادى نهر البو ، وعبور الألب لاشك احدى معجزات الحروب فى التاريخ القديم فقد كان السير فى هذه المنطقة صعبا لدرجة أن الرومان لم يتوقعوا

واقعة ترازمين ٢١٧

قدوم أى جيش من هذه الناحية ، وسرعان ماخرج القنصلان للقائه ولكن هزمت جيوشهما أمام القائد البونى ، ثم إنه جاوز هذا إلى اشعال نار الثورة بين قبائل الغالة واستطاع أن يؤلف منهم جيشا يربو على ستين ألف مقاتل ، ولم يجاوز غير بعيد حتى أوقع بالرومان هزيمة أخرى ذبح فيها معظم الجيش الرومانى عند بحيرة ترازمين (عام ٢١٧ ق . م .)

واقعة كانيا ٢١٦

هنا عظمت مرزأة الرومان وحطّموا القناطر المقامة على نهر التيبر لتوقعهم زحف عدوهم إلى روما ، ولكن «هنيبال» مرّ بروما وزحف نحو الجنوب كى يثير الفتنة ضد روما بين سكان الجنوب ، والتقى الطرفان فى (واقعة كانيا) الفاصلة عام ٢١٦ ق. م . فى جنوب إيطاليا ، ولم ير التاريخ قائداً أظهر من النبوغ والتفنن الحربى ما أظهره « هنيبال » فى كانيا ، فقد تمكن بجيشه الصغير أن يقتل ثمانين ألفا من جند روما وأن يأسر معظم الباقين ، وكان بين القتلى ثمانون من أعضاء مجلس الشيوخ ، ولم يفقد « هنيبال » من جنده غير ستة آلاف كان ثلثاهم من الكلت .

نتائجها

وأهم نتائج هذه المعركة أن خرج على روما معظم حلفائها فتحالف فيليب المقدونى مع قرطاجنة وتعهد بانزال جيش على ساحل إيطاليا الشرقي ، وأغرب من هذا أن سيراكوز التي كانت حليفة روما حتى آخر لحظة قبل المعركة انضمت إلى قرطاجنة ، ولم يمض غير سنوات قلائل حتى أصبح «هنيبال» سيد إيطاليا الجنوبية بأسرها .

استعداد روما

وسط هذه الأزمة الخطيرة عمل شيوخ روما على تأليف جيش

جديد التزموا أن ينظموا فى سلكه عدداً من العبيد والغلمان ، وبدأوا بهذا الجيش يستولون على بلد بعد آخر من البلاد التى انضمت إلى قرطاجنة فاستولوا على سيراكوز عام ٢١٢ق . م . واضطروها إلى دفع الجزية ، ولم يأت عام ٢١٠ ق. م. حتى استرد الرومان كل صقلية ومدينة (كابوا) التى كانت تعد ثانية مدن ايطاليا .

الحرب فى إسبانيا

أما فى اسبانيا فكانت الحرب لاتزال قائمة بين الفريقين حيث استطاع القائد الرومانى العظيم « شبيو » أن يهزم « هزدروبال » القائد البونى .

هزدروبال فى إيطاليا

ولم يلبث «هزدروبال» أن قاد جيشا لنجدة أخيه « هنيبال » فسار نحو روما ، ولكن الرومان أوقعوا به هزيمة شنيعة قتل فيها وتشتت شمل من نجا من جنوده عند نهر متورس عام ٢٠٧ق . م.

وبقى «هنيبال» أعواما قلائل يكافح بجيشه حتى ضعف جنوده وجلوا عن مساحات واسعة فى إيطاليا احتلها الرومان بالتدريج .

ظهور شيو

وأخيرا وجد الرومان قائداً حربيا فذاً فى شخص «شبيو » الذى عاد الى روما بعد انتصاراته الهائلة فى اسبانيا وانتخب قنصلا عام ٢٠٥ ق . م . وبعد انتخابه طلب من الشيوخ أن يرسلوه على رأس حملة لتحطيم قرطاجنة فى إفريقيا حتى يجبر « هنيبال » على الجلاء عن إيطاليا .

واقعة زاما

وانتصر (شبيو) فى معركتين عظيمتين فى إفريقيا فاضطر القرطاجينيون الى استدعاء «هنيبال» كي يدافع عن قرطاجنة (عام ٢٠٣) بعد أن قضى فى ايطاليا خمسة عشر عاما ، وفى (واقعة زاما)

الشهيرة التقى القائدان العظيمان شبيو وهنيبال ، فانتصر الأول انتصاراً مبينا واضطر عدوه « هنيبال » إلى قبول الصلح فى سنة ٢٠١ ق . م . على الشروط الآتية :

شروط الصلح

(١) تدفع قرطاجنة لروما غرامة حربية هائلة .

(٢) تتنازل قرطاجنة عن كل أملاكها فى أسبانيا لروما وتسلمها كل سفنها الحربية ما عدا عشرين واحدة .

(٣) تصبح قرطاجنة حليفة رومانية تعترف بالسيادة لروما وتدفع لها الجزية .

وبمقتضى هذه الشروط لم يكن لقرطاجنة أن تحارب فى أى مكان إلا بموافقة روما صاحبة السيادة عليها .

مصير هنيبال

واضطر « هنيبال » بعد عقد الصلح أن يفرّ من قرطاجنة لأن الرومان ضيقوا عليه الحصار، ثم ظل ينتقل من بلاط إلى آخر وروما تطارده حتى لم يعد يقوى على الصبر ، وأخيراً شرب السم ومات عام « ١٨٣ ق . م . » وتصادف أن مات فى نفس هذا العام خصمه العنيد « شبيو » .

الحرب الثالثة (١٤٩ — ١٤٦)

كاتو

كانت روما بعد الحرب الثانية تخشى أن تجدد قرطاجنة قوتها وتعود إلى منافستها ، وكان السنسور « كاتو » قد ذهب إلى قرطاجنة ليشهد أحوالها ، فلما عاد وقف بين شيوخ روما ونفض ثوبه فسقط

على الارض تين إفريقى لا يزال حديث عهد بالقطاف ، وبينما الشيوخ معجبون بجمال ذلك الثمر وضخامته قال لهم « كاتو » كلمته الشهيرة « لم يمض غير ثلاثة أيام على قطاف ذلك التين ، وتلك هى المسافة التى تفصل عدوًّنا عنا ، ونصيحتى لكم أن تصرفوا عنايتكم فى القضاء على قرطاجنة » .

الحرب

ثم جاء الظرف المناسب حين وقعت قرطاجنة فى حرب مع « نوميديا » حليفة روما الواقعة غرب قرطاجنة ، فتذرعت روما بذلك وأرسلت جيشاً إلى أفريقيا بحجة أن قرطاجنة أخلّت بشروط المعاهدة التى أبرمت (عام ٢٠١) وتمكن قائد الرومان (شبيو الصغير) أن يقتحم قرطاجنة ، ثم أطلق جنده فى نواحيها فاستباحوها سلباً وقتلا وإحراقاً ستة أيام بلياليها ، وفى الليلة السابعة لم يبق إلا أن يقبض الرومان على (هزدروبال الصغير) قائد قرطاجنة وكان محتميا فى معبد (اسكيلاب) الحصين ومعه زوجته وأطفاله وما يقرب من تسعمائة جندى من الهاربين . فلما دخل الرومان المعبد رغب (هزدروبال) فى أن ينجو بنفسه فلوّح لهم بغصن الزيتون إشارة التسليم ، إلا أن هذا أغضب رجاله فكالوا له اللعنات وأشعلوا النار فى المعبد ، وبينما النار يعلو لهيبها تقدمت زوجة (هزدروبال) تحمل أطفالها وقالت على مسمع منه بصوت دوى به المكان : —

« انى لا أنادى بسقوطكم أيها الرومان فأنتم تخدمون أوطانكم وتعملون على اذلال عدوكم وهذا منكم وفاء لأمكم روما ، ولكنى أبتهل إلى آلهة قرطاجنة واليكم أن تصبوا جام غضبكم على ذلك الخائن

الذى نقض عهد الوطن من بعد ميثاقه » ثم نظرت إلى زوجها وقالت تخاطبه (قم أيها النذل وانظر بعينيك إلى تلك النار التى سيكون أطفالك وقودها ، أما أنت فاذهب إلى روما لتكون زينة فى موكب الانتصار ينظر الرومان اليك ويبصقون فى وجهك ويسومونك العذاب الغليظ) .

ولم تكد تنتهى من كلامها حتى ألقت بنفسها وأطفالها فى النار فأكلتهم جميعا ، وصنع جنود قرطاجنة صنيعها ، وكان هذا آخر مشهد أليم أسدل عليه ستار هذا البلد العظيم ، الذى صار بعد هذا مستعمرة رومانية .

نتائج الحروب البونية

وأعظم أثر لهذه الحروب أنها صيَّرت روما سيدة البحر المتوسط وحاكمة قرطاجنة واسبانيا ، ومن ثم بدأت توسع إمبراطوريتها فى حوض هذا البحر ، إلاَّ أن الحرب أنهكت قواها وأفنت زهرة شبابها وصرفت الناس عن الزراعة الى الاشتغال بالحرب فاضطر الرومان إلى جلب الرقيق من مستعمراتهم لفلاحة الأرض .

٩ — نمو سلطة روما

(٣) امتداد الفتوح الرومانية

فى حوض البحر الأبيض المتوسط

خلفاء الاسكندر

عرفنا أن امبراطورية الاسكندر قسمت بعد موته بين قواده العظام ، وفى الوقت الذي قضت فيه روما على منافستها قرطاجنة كان خلفاء الاسكندر يحكمون ثلاث ممالك عظيمة هى (١) دولة مقدونيا وكان يخضع لحكمها جزء عظيم من بلاد الاغريق (٢) دولة السلوكيين فى سوريا وكانت تشمل آسيا الصغرى وبعض الجزر فى بحر إيجا (٣) دولة البطالسة فى مصر وهى تعتبر بحق وارثة الثقافة والحضارة الاغريقية ، كما أن مصر أخصب هذه الممالك كلها وأكثرها انتاجا للغلال .

ودخلت هذه الممالك الواحدة بعد الأخرى ضمن حدود الامبراطورية الرومانية ، وهكذا وقف الرومان وهم يمدون فتوحهم فى الشرق وجها لوجه أمام مدنية الأغريق التي نشرتها فتوح الاسكندر .

الحروب المقدونية ٢١٣ - ١٤٨ ق . م .

يرجع سبب الحروب المقدونية إلى أن فيليب الخامس ملك مقدونيا تحالف مع (هنيبال) ضد روما عام ٢١٥ وهذا أدى الى قيام الحرب الأولى عام ٢١٣ فى الوقت الذى كانت فيه الحرب البونية الثانية لا تزال قائمة . وانتهت الحرب الأولى سنة ٢٠٥ وكانت أهم

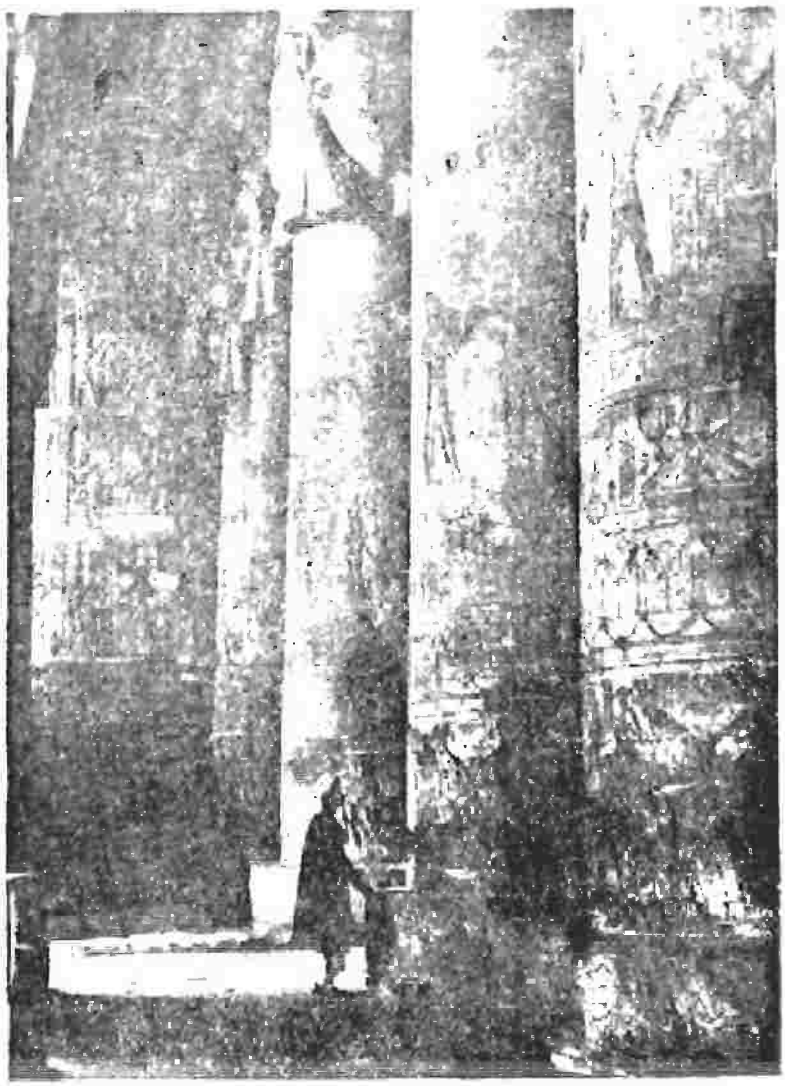

معبد دندره

نتائجها تدخل روما فى شئون الأغريق ثم قامت الحرب الثانية فالثالثة فالرابعة التى انتهت سنة ١٤٨ بتحويل مقدونيا إلى ولاية رومانية .

فتح سوريا

أما سوريا فان ملكها (انطيوك الاكبر) هزم أمام الرومان وفقد أملاكه الاسيوية التى تحولت كلها الى مستعمرات رومانية .

فتح مصر

ودخلت مصر تحت حماية روما عام (١٦٨ ق. م.) وبقيت تعتبر روما المرجع الأعلى لها حتى جاء عهد « كليوباترا » آخر ملوك البطالسة فتحولت مصر إلى ولاية رومانية بعد واقعة اكتيوم التي سيأتي الكلام عنها فى تاريخ البطالسة .

١٠ — عهد الحروب الأهلية

(٣٣١ — ٣١ ق . م .)

هذا الفصل خاص بطلبة الأزهر وليس مقرراً على طلبة المدارس

تمهيد

قبل أن ينقضي القرن الثاني كان البحر المتوسط قد أصبح بحيرة رومانية واعترف كل العالم المتمدين بزعامة روما، ومن ثم ثقل العبء على كاهلها وأصبحت مهمتها بعد هذا أن تغزو البلاد المتبربرة مثل غالة وبريطانيا وألمانيا وتدخل فيها الحضارة الرومانية .

مساوىء التوسع الرومانى

وجرّت الفتوح الرومانية فى أذيالها المال الوفير والثراء الطائل وخرج المال بالشعب الروماني عن سذاجته الأولى إلى حب الترف والنزوع إلى حياة النعيم ، فاشترى أشراف إيطاليا الأغنياء معظم الأراضى الزراعية وجلبوا فرق الرقيق تعمل فى فلاحتها ، أما صغار الفلاحين الذين كانوا عماد روما فى أوائل الجمهورية فقد اختفى أثرهم لأن بعضهم راحوا فى الحروب بينما الباقون كانوا قد نزحوا الى المدن لعدم استطاعتهم العيش في الريف تحت سيطرة الملاك الاغنياء ، فاكتظت روما بجموع العاطلين الذين زاد عددهم عاماً بعد عام وكانوا يتدخلون فى شئون الحكم ويعترضون تنفيذ القوانين التى لاترضيهم ، وبدأ الاشراف يحسبون حساب العاطلين ويعملون على إرضائهم ، وعظم خطرهم لدرجة أن القياصرة أنفسهم كانوا يحاولون استرضاءهم .

وكان العاطلون يفخرون بأنهم من الرومان ويعلنون فى كل

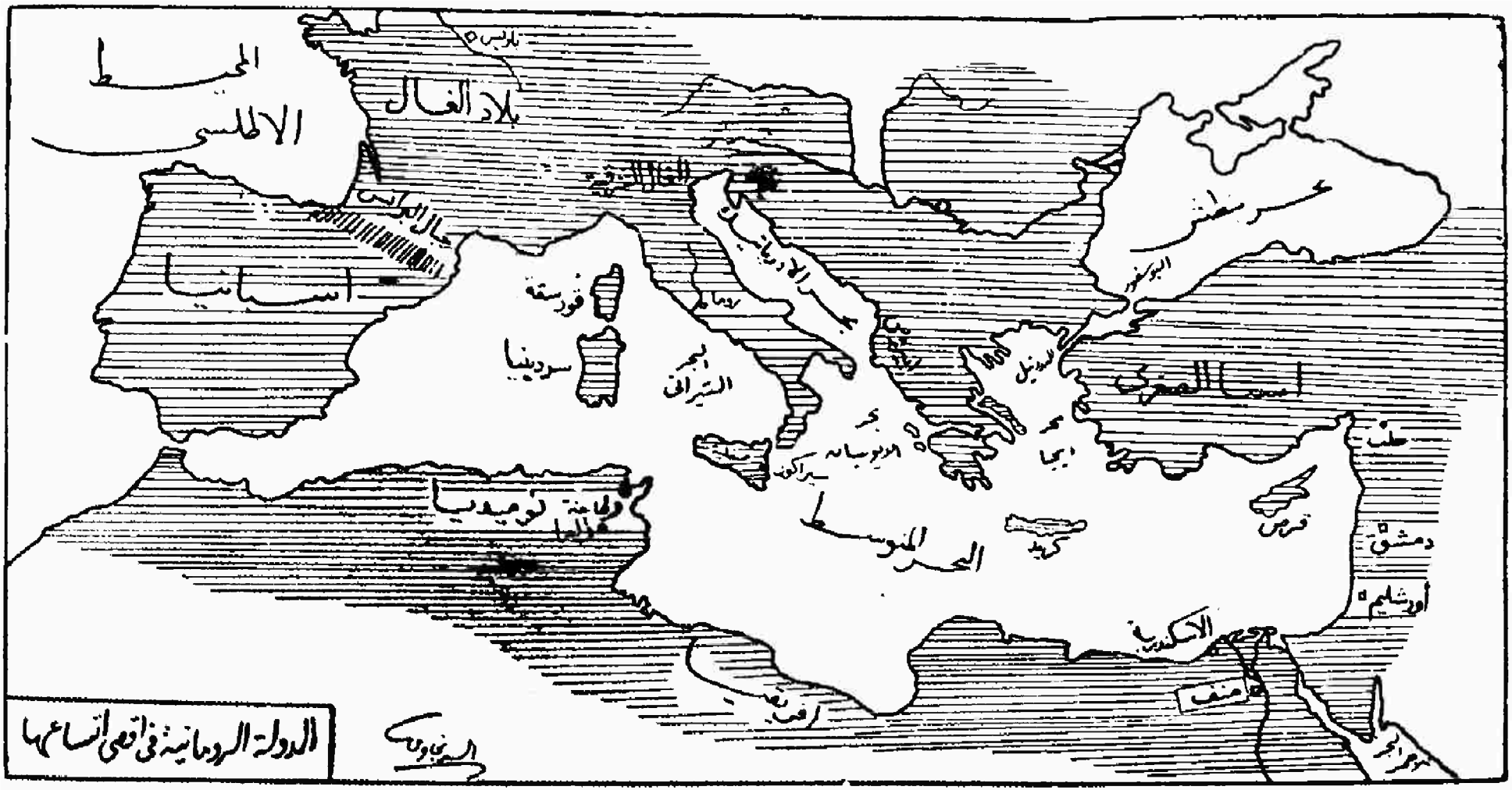

الدولة الرومانية في اقصى اتساعها

وقت أن الحقوق التى يتمتعون بها يجب ألا يشاركهم فيها غيرهم ، وعلى هذا بدأ سوء التفاهم بينهم وبين بقية الاجناس الايطالية حتى اللاتينية منها ، ولا تسل عن حال أهالى الاملاك الأخرى خارج ايطاليا فقد كانوا يئنون من عسف الولاة الرومان وفداحة الضرائب التى تجبى والطرق الجائرة التى تتبع فى جبايتها (١). فكان اشراف روما يرسلون إلى الخارج ولاة على الأملاك البعيدة . وهؤلاء كان لاهمّ لهم إلا جمع الأموال بكل الطرق الممكنة ، وكان منهم المرابون الذين جمعوا الأموال الطائلة من الشرق وبلاد الاغريق ، وكانوا إذا رجعوا إلى روما أقاموا القصور وعاشوا فيها عيشة الخمول والترف ، وهكذا فقد الرومان الصفات التى كانت سبب نجاحهم وتسلطهم على جيرانهم ، صفات البساطة والخشونة والنشاط .

اصلاحات جراكاس

وقام الكثيرون بمحاولات لاصلاح هذه الحال السيئة ، وأهم المصلحين « تيبيرياس جراكاس » الذى انتخب تريبونا عام (١٢٤ (ق .م.) وتتلخص اصلاحاته فى سن قانون يقضى بتقسيم الأرض العامة الى أنصبة صغيرة توزع على الفقراء . ولكن صادف ذلك القانون معارضة شديدة من جانب الاشراف الذين كانوا يستولون على هذه الأرض ، وانتهى أمره بأن قتل وقضى على اصلاحه بالفشل

مقترحات كاياس جراكاس

وبعد عشر سنوات حاول أخوه (كاياس) أن يحدث انقلابا هاما فى الحكومة فرغب فى جعل السيادة للشعب بأن يعطى للجمعيه

(١) كانت تتبع فى جباية الضرائب طريقة الالتزام وهى أن يتعهد الملتزم بدفع الضرائب اللازمة عن المقاطعة كلها دفعة واحدة . ثم يترك له مطلق التصرف فى جمعها من الاهالى لنفسه وكان الملتزمون يجمعون من الاهالى أضعاف ما يقدمون إلى الحكومة المركزية فى روما .

« التمثال الحقيقي الوحيـــد ليوليوس قيصر »

واقفاً على الكابتول بروما

العمومية الحق فى سن القوانين وتنفيذها من غير ضرورة لموافقة القناصل والشيوخ ، واقترح فوق هذا أن يتمتع اللاتين بكافة الحقوق المدنية . بل جاوز هذا إلى مساواة الاجناس الايطالية الأخرى باللاتين . ولكن صادف (كاياس) مقاومة عنيفة انتهت باغتيال حياته (عام ١٢٢ ق . م .)

عهد الثورات

ومنذ عهد الاخوين (جراكاس) بدأ عهد ثورى استمر ما يقرب من مائة عام (١٣٣ — ٣١ ق . م .) تميز بعدة حروب أهلية وحركات من جانب القواد للاستئثار بالحكم والقضاء على مساوىء الحكومة وعيوبها .

تقوى الجمعية العمومية

وكانت حكومة الشيوخ تضعف بالتدريج ويسوء حالها منذ انغماس الاشراف فى حياة الترف ، ولهذا انعطف الكثيرون الى رأى الأخوين (جراكاس) وسمى حزبهم (الجراشى) وكانوا يعملون على نقل السلطة من الشيوخ الى الجمعية العمومية .

تقوى الجيش

ومن ظاهرات عصر الثورات نمو قوة الجيش تبعاً للفتوحات العظيمة التي تمت على أيدى الجنود . ولما كانت الحرب قائمة دواما فان الجندية أصبحت صناعة لا يتركها الجندى بل ينقطع لها ويحترف بها ، وبدت للقواد فرصة التدخل فى شئون الحكومة وخصوصا فى حالات ضعفها . وهكذا استخدم القواد قوة الجيش فى تنفيذ سياستهم ، ومن ثم كثرت الحروب الاهلية من جراء النزاع بين القواد ، وأهم هذه الحروب ما يأتى :

(١) حرب الرقيق ١٠٤-٩٩ ق . م .

قدمنا أن العبيد كانوا يجلبون إلى ايطاليا وصقلية ، وهؤلاء قاموا بثورة دامت خمس سنوات وانتهت بأن قضت الحكومة عليها.

(٢) الحرب الاجتماعية ٩٠-٨٨ ق . م.

أما الحرب الاجتماعية فقد قام بها الايطاليون يطالبون بالحقوق السياسية التى يتمتع بها سكان روما ويطاليون بالاشتراك فى الوظائف الحكومية ، وأخيرا أجابتهم روما إلى ماطلبوا بعد كفاح طويل كى تأمن شرهم وتضمن صداقتهم .

(٣) ثورة المصارعين ٧٣-٧١ ق.م.

وكان المصارعون يستأجرون من قبائل الغال والقوط للمصارعة فى المسارح والمدرجات الرومانية ترويحا للشعب وتخديرا لأعصاب العامة العاطلين وصرفهم عن معارضة أنظمة الحكم القائمة، وهؤلاء المصارعون قاموا بثورة استطاع الرومان إخمادها بعد أن دامت سنتين .

الديكتاتورية كاياس ماريا س

ولا يصح أن نغفل فى تاريخ هذا القرن الكلام عن أولئك الرجال الذين مهدوا السبيل إلى الامبراطورية ، فبعد عهد الجراكى (الجراشى) ظهر قائد من أصل وضيع يدعي (كاياس مارياس) كان قد نجح فى حربه ضد قبائل التيوتون ، فترأس العامة وقام بثورة أهلية ضد الاشراف نجح فيها وحكم روما حكما تميز بالارهاب ، ولكنه مات عام ٨٦ بعد ان عين قنصلا سبع مرات متواليات ، وبذا رسم للزعماء الذين خلفوه طريق الدماء والفوضى فنهجوا منهاجه وساءت الحال .

صلا

وقام بعده القائد « صلا » وهو زعيم حزب الاشراف وتمكن من الاستئثار بالحكم فى روما وبقى ديكتاتوراً بها أربع سنوات .

بومبيوس

ثم ظهر الديكتاتور « بومبيوس » وكان قد حارب جنبا الى جنب مع « صلا » فى الحروب الأهليـة . وفى عام ٦٦ ق .م . قاد الجيوش الرومانية فى آسيا ومد النفوذ الرومانى على سوريا ومعظم آسيا الصغرى ثم عاد عام (٦١) إلى روما وكانت حكومة الشيوخ ضعيفة فاستطاع بالتواضع والملق أن يكسب عطف الشعب الرومانى ثم قام نزاع بينه وبين الشيوخ انتهى بمحاولتـه الاستقلال عنهم باشراك اثنين من اعاظم المعاصرين له فى الحكم أولهما (يوليوس قيصر والثانى « كراساس » وباشتراكهم كوّنوا الحكومة الثلاثية الأولى .

الحكومة الثلاثية الاولى ٦٠ ق . م.

اتفق هؤلاء الزعماء على أن يحكموا أملاك روما بالاشتراك وأن يعينوا أشخاصا من أتباعهم ممن يعتمدون عليهم فى الوظائف الكبيرة وبعد ان تولى يوليوس قيصر منصب القنصلية عام « ٥٩ ق . م. » أعطى قيادة جيش كبير لغزو بلاد الغال « فرنسا الحالية » فاستطاع بالتدريج اخضاع قبائلها وربطها بروما وفى عام « ٥٣ ق.م. » قتل كراساس وهو يحارب فى آسيا الصغرى وبذا أصبح قيصر وبومبيوس وجها لوجه .

واقعة فرساليا ٤٨ ق . م.

وبدأ « بومبيوس» يدبر المؤامرات ضـــد قيصر ويحاول الاستئثار بالحكم، وكان قيصر لايزال فى غـالة بجيشه فرغب فى القضاء على منافسه ، وفى أقل من ستين يوما استطاع قيصر أن يستولى على إيطاليا كلها ثم طارد ضباط « بومبيوس » الهـاربين وهزمهم فى اسبانيـا ، وتتبع عـدوّه بومبيوس إلى بلاد الاغريق

حيث انتصر عليه فى واقعة فرساليا الحاسمة التى تفرق فيها جيش « بومبيوس » وهرب هو إلى مصر حيث قتل هناك بايعاز من وزير بطليموس الثانى عشر إرضاء لقيصر .

ولم يمض عام ٤٥ ق.م. حتى أصبح قيصر أشبه بحاكم ديموقراطى على الرومان ، وعظم شأنه فى أعين الجند والشعب على السواء لدرجة أنه حكم روما حكما ديكتاتوريا دائما ، وكان لاشك يطمع فى تأسيس أسرة حاكمة وراثية .

اصلاحاته

وحاول قيصر اصلاح الحكومة المركزية ومنح سكان المقاطعات الخارجية نفس الامتيازات التى يتمتع بها الرومان وتحويل الحكومة الى ملكية يكون أعضاء مجلس الشيوخ فيها مستشارين للملك، ولكن الجمهوريين عشاق النظام القديم لم يعرفوا فضله وألفوا عصابة لاغتيال حياته بزعامة (كاسياس) ومن أهم أعضائها بروتس وكاسكا ، وبرغم أن أعضاء هذه المؤامرة كانوا ممن أحسن اليهم قيصر وأبدى نحوهم الاشفاق والعطف فى حياته ، فانهم أعلنوا أن واجبهم يقضى عليهم أن يقتلوه باسم الحرية والجمهورية التى رغب فى اسقاطها .

مصرعه

وبينما قيصر فى قاعة مجلس الشيوخ أحاط به المتآمرون باشارة خاصه كانوا قد اتفقوا عليها ، وطعنه (كاسكا) الطعنة الاولى ثم اسرع الباقون الى سيوفهم فاستلوها ، ودافع قيصر عن نفسه فى أول الأمر ولكنه عند مارأى صديقه (بروتس) قد استل سيفه قال بصوت الأسيف كلمته الأخيرة : « حتى أنت يابروتس !!! »

ثم غطّى وجهه بثوبه وسقط على الأرض مضرّجاً بدمائه تحت قدمي تمثال فى قاعة الشيوخ نصب تخليداً لذكرى (بومبيوس) وكان اغتيال حياته فى اليوم الخامس عشر من شهر مارس عام ٤٤ ق .م. وبموته قبرت معه مشروعات الاصلاح العظيمة التى كان يرغب فى انفاذها .

ووصلت أخبار مقتل قيصر إلى اكتافيو وكان لايزال فتى يتلقى دروسه فى اليريا حيث أرسلت اليه أمه خطابا تأمره بالهرب الى الشرق كى ينجو بحياته من شرّ قتلة قيصر . ولكن كان جواب اكتافيو على ذلك أن عاد مسرعا نحو روما .

الحكومة الثلاثية الثانية ٤٣ .ق.م.

وكان قيصر قبل موته قد تبنى « أكتافيو » بطريقة شرعية وأعلن انه الوارث الوحيد له . فلما عاد الى روما اتفق مع أنطونيو أحد اتباع قيصر الذى كان إذ ذاك قنصلا على روما وتمكن اكتافيو بهذا أن يرقى القنصلية وهو لايزال فى العشرين من عمره عام ٤٣ ق.م . ثم الف تحالفاً ضم فيه إلى شخصه انطونيو وليبيدوس ، وبذا ظهرت الحكومة الثلاثية الثانية (عام ٤٣ ق . م .)

واقعة فلبى ٤٢ - ق.م .

ولقد تميزت هذه الحكومة فى أول عهدها باعادة الارهاب الذى ساد ايام ماريا س وصلا ، فصادرت املاك الناس وقتلهم لمجرد تفكيرهم فى اعادة النظام الجمهوري ، ومن أهم الذين راحوا ضحية ذلك الارهاب « شيشرون » الخطيب الرومانى الشهير .

مصاعب اكتافيو

وكانت جيوش بروتس وكاسياس زعيمى المعارضة للحكم الجديد معسكرة فى مدينة فلبى بمقدونيا ، وهناك استطاع اكتافيوس

أن ينزل بها هزيمة شنيعة انتهت بتثبيت دعائم الحكومة الثلاثية وتقسيم أملاك روما بين المنتصرين ، فأعطى ليبيدوس حكم افريقيا وبقى اكتافيو يحكم روما وذهب انطونيو للاقامة فى سوريا وحكم الاقاليم الشرقية .

مصاعب اكتافيو

وكانت أول مقاومة صادفها اكتافيو من جانب أحد أبناء بومبيوس الذى حشد جيشاً قويا وأعد أسطولا استطاع بهما الاستيلاء على صقلية ، ولكن اكتافيو استعان بحاكم افريقيا « ليبيدوس » وتمكن من الانتصار على جيوش عدوه ، ثم ما لبث ليبيدوس نفسه أن طمع فى صقلية فهزمه اكتافيو وجرده من منصبه ، ثم كان أخيراً ما كان من شأن (انطونيو) مع (كليوباترا) ملكة مصر إذ أحبها وعاش معها فى الاسكندرية تاركا مهام منصبه ، وهذا أثار ضده اكتافيو وشيوخ روما وشعبها فهبّ الجميع للانتقام منه ، وفى واقعة اكتيوم الشهيرة على الساحل الغربى لبلاد الاغريق التقى حاكم الغرب بحاكم الشرق عام ٣١ ق.م. وكانت النتيجة تحطيم الاسطول المصرى وفرار كليوباترا وانطونيو إلى الاسكندرية .

دخوله مصر

وفى العام التالى لحق بهما اكتافيو فدخل مصر من غير مقاومة وصيّرها ولاية رومانية عام ٣٠ ق . م . بعد أن انتحر انطونيو وكليوباترا ، وبذلك انقضى قرن الثورات الذى بدأ منذ عهد الجراشى عام ١٣٣ ق. م.

قيام الامبراطورية

وأدّى مقتل قيصر إلى فوضى دامت ثلاثين عاما ، وهذا جعل

الناس يرغبون فى أية حكومة تعيد القانون والسلام ، ولم يكن فى الدولة إذ ذاك أقوى من (اكتافيو) الذى آلت اليه الزعامة بعد واقعة أكتيوم ، وعلى يده تحولت حكومة روما إلى ملكية أوتوقراطية .

لقب الامبراطور

ولم يرغب (اكتافيو) فى أن يلقب ملكا حتى لاتقوم الثورات فى وجهه ، بل اكتفى أن يلقب نفسه (امبراطوراً) ومعنى هذا اللقب فى الاصل (قائد الجيش) ، ومنذ ذلك الوقت أطلق لقب امبراطور على خلفاء « اكتافيو » ، ثم جاوز هذا الى أن لقب نفسه رئيسا للكهنة فجمع بذلك جميع السلطات فى يده .

لقب اغسطس

وفى النهاية أطلق عليه لقب (أغسطس) ومعناه (الأعظم) وهو يعادل قولنا الآن (صاحب الجلالة) . ومنذ ذلك الوقت أصبح (اغسطس) علماً لاوكتافيوس .

١١ — الحضارة فى عهد اغسطس

هذا الفصل خاص بطلبة الازهر وليس مقرراً لطلبة المدارس

العصر الذهبى للآداب

يعتبر عصر « أغسطس » الفترة الذهبية فى تاريخ الأدب الرومانى لظهور طائفة من أعاظم الكتّاب الذين رقى النثر اللاتينى على أيديهم إلى أقصى درجات الكمال ، ثم أعقب ذلك نهوض فى صناعة النظم أنتج قطعاً لاتزال حتى اليوم المثل الأعلى للأدب اللاتينى.

ولم يهتم الرومان بالعلم اهتمامهم بالأدب . فقد أظهر الكثيرون من عظماء روما رغم اضطلاعهم بالمناصب ذات المسؤليات الخطيرة انعطافاً كبيراً نحو الآداب ، ومن أمثله ذلك أن « يوليوس قيصر » الف رسالة (فى الكلام اللاتينى) أهداها إلى (شيشرون) رب الخطابة فى ذلك العصر ، على أن نهضة الرومان لم تكن وليدة لإيطاليا ، وإنما كانت مستمدة من إحياء الآداب الاغريقية القديمة وبعث المؤلفات التى ظهرت فى عصر « بركليس » وهكذا اختلطت الثقافة الاغريقية بالعقول الرومانية فخلقت أنضج المنتجات الفكرية التى شهدها التاريخ القديم.

فرجيل

ومن أعظم شعراء هذا العصر « فرجيل » ويشتهر بقصيدته الخالدة « انيد » التى تغنى فيها بالاعمال المجيدة التى تنسب إلى البطل « انياس » رأس عائلة الجوليان التى منها « يوليوس قيصر » .

اوفيد

أما (أوفيد) فقد درس الحقوق فى أثينا ولكن ميله للشعر جعله يهجر القانون وينصرف للنظم .

هوراس

ووصف (هوراس) فى قصائده عظماء الرجال الذين عاصروه وشعره من الطبقة الأولى فى الأدب اللاتينى .

ليفى

ومن أشهر مؤرخى عصر « أغسطس » ليفي الذي كتب تاريخاً ضخما لروما منذ نشوئها حتى عهد اغسطس يقع فى ١٤٢ ملفا ظل يعمل فى تأليفه أربعين عاما . ولا تمتاز كتابة ليفى إلا بطلاوة اللفظ والتفنن فى صناعة القلم ، أما الحقائق التاريخية التى جاء بها فلا يصح الاعتماد عليها .

الحفر والتصوير

ولم ينبغ أحد من رجال الفن الرومان فى شئ مبتكر ، وخلاصة القول فى هذا الاتجاه أن الرومان قلدوا الفن الاغريق دون أن ينجحوا فى إنتاج فن يمتاز عنه .

العلوم

أما العلوم فلم يكن لروما منها نصيب يذكر ولم يظهر من العلماء غير (استرابو) الجغرافى ولم يكن فى الأصل رومانياً بل كان إغريقياً عاش فى روما ، ومن أهم كتاباته مؤلف فى الجغرافيا يقع فى ١٧ كتاباً ، ومما زاد فى طلاوة هذا الكتاب أن (استرابوا) مزج فيه التاريخ بالجغرافيا بالرحلات ، ولكنه رغم هذا يفقد الروح العلمية الصحيحة .

١٢ — علاقة الرومان بالبطالسة
ودخول مصر تحت حكم الرومان

بطليموس الثاني

عرفنا أن العلاقة بين مصر وروما فى عهد فيلادلف كانت قاصرة على تبادل المتاجر وأن روما لم يكن لها أى تسلط على مصر وإنما كانت الصداقة بينهما ترتكز على أساس المساواة .

بطليموس الرابع والخامس

وكان بطليموس الرابع غير ساهر على مصالح بلاده فضاعت أملاكه فى سوريا وترك ابنه بطليموس الخامس فى الخامسة من عمره ، وهذا جعل أنطيوك ملك سوريا وفيليب ملك مقدونيا ينتهزان الفرص ويتفقان على تقسيم أملاكه الاسيوية ، وتم لهما بالفعل الاستيلاء على بعض أملاك مصر ولكن روما تدخلت فى الأمر وأرغمتهما على اخلاء الأماكن التى تم فتحها ، وبذا أصبحت روما حامية مصر .

بطليموس السادس

وفي عهد بطليموس السادس هاجم أنطيوك الثالث ملك سوريا مدينة الاسكندرية إلا أنه رجع عنها بأمر « بوبيلاس » السفير الروماني فى الاسكندرية .

وفى عهد بطليموس السابع والثامن والتاسع والعاشر زادت سلطة روما فى مصر وعظم تدخلها فى شئونها وتكررت زيارة السفراء والعظماء من الرومان لها .

بطليموس الحادى عشر

وأنفق بطليموس الحادى عشر المبالغ الطائلة فى روما كى يحصل على اعتراف مجلس الشيوخ الروماني به ملكا على مصر ولكنه كان قد أثقل كاهل المصريين فى سبيل الحصول على المال فقاموا بثورة

هائلة فى الاسكندرية وأسقطوه ، فذهب بنفسه إلى روما وطلب المعونة وأعيد إلى عرشه وحكم حتى مات عام (٥١ .ق.م) وترك وصية مؤداها أن يتولى عرش مصر من بعده ابنه بطليموس الثانى عشر بالاشتراك مع أخته كليوباترا ، وترك من هذه الوصية نسخة فى الاسكندرية وأرسل أخرى إلى روما كى تتولى تنفيذها .

الخلاصة

وحاصل ماتقدم أن ضعف ملوك البطالسة هو العامل الأكبر فى تطور العلاقة بين روما ومصر ، فبعد أن كانت فى اول أمرها علاقة صداقة ومساواة أصبحت روما فيما بعد حامية مصر ، وأصبح ملوك مصر مدينين بعروشهم وتيجانهم لروما ، وأخيراً انتهى الأمر باستيلاء الرومان على مصر وضمها إلى أملاكهم عام ٣١ ق . م .

كليوباترا ٥١ - ٣١ ق . م .

تولت (كليوباترا) حكم مصر تنفيذاً لوصية أبيها بطليموس الحادى عشر عام (٥١ ق . م .) وكانت فى السابعة عشرة وأشركت معها فى الحكم أخاها بطليموس الثانى عشر وكان غلاماً فى العاشرة ، ولذا عين عليه مجلس من الأوصياء .

عزلها

ولما بلغ بطليموس الرابعة عشرة أوعز اليه اثنان من الأوصياء هما (بوتيناس) و (أخيلاس) أن ينفرد بالحكم وشجعاه على هذا فطرد أخته كليوباترا ، ولم تلبث هي ان جمعت جيشاً هاجمت به مصر .

قيصر

وتصادف أن قدم إلى مصر في ذلك الوقت (يوليوس قيصر) القائد الرومانى يجدُّ فى اللحاق بعدوه ومنافسه (بومبيوس) فأعجب بجمالها وفصاحتها وأدبها ، وعلى يديه تم الصلح بينها وبين بطليموس على أن يتزوجها ويشركها معه فى حكم مصر .

القواد المصريون

ولكن هذه التسوية لم ترض القواد المصريين فقاموا ضد قيصر وانضم اليهم بطليموس . ولكن قيصر هزمهم بعد أن وافاه المدد من روما ، وفى أثناء القتال غرق بطليموس فخلا الجو لكليوباترا وتولّت العرش وأشركت معها أخاها الأصغر (بطليموس الثالث عشر) الذى يروى أنها قتلته عام ٤٣ ق . م.

كليوباتره فى روما

ولما ذهبت كليوباترا إلى روما لتقديم فروض الشكر لقيصر بنى لها قصراً فخما وعاش معها حتى قتل عام (٤٤ ق . م .)

وفى أثناء إقامتها فى روما رزقت منه ولداً يدعى قيصرون . وبعد وفاة قيصر عادت إلى مصر .

بروتس وكاسياس

كان بروتس قاتل قيصر له حزب أهم أعضائه كاسياس وكان فى روما حزب آخر يرغب فى الانتقام لمصرع قيصر على رأسه القائد انطونيو والشاب اكتافيو حفيد قيصر الذي كان إذ ذاك فى الثامنة عشرة ، فاجتمع جنود قيصر حول انطونيو واوكتافيو ودارت بين الطرفين حرب انتصر فيها أتباع قيصر وهزم بروتس عام (٤٢ ق . م .) فانتحر هو وزميله كاسياس .

انطونيو وكليوباتره

واتفق المنتصرون على أن يحكم انطونيو أملاك الدولة الرومانية فى الشرق وأن يبقى اكتافيو فى روما، فذهب انطونيو إلى سوريا ومن هناك أرسل يطلب كليوباترا لسؤالها عن أمور نسبت لها منها مساعدة بروتس وحزبه أثناء الحرب . فأعدت سفينة فخمة فيها مالاعين رأت ولا أذن سمعت من آلات الطرب والزينة والجوارى

وأسباب الترف ، ثم حملت معها حليها ونفائسها وتوجهت نحو كليكيا في شمال سوريا .

وكانت « كليوباترا » إذ ذاك في الثامنة والعشرين وقد بلغت منتهى ما يصل اليه الكمال الجسماني . أضف إلى هذا مواهبها النادرة وما كان لها من المقدرة الكلامية ، فما كاد يراها « أنطونيو » حتى بهره جمالها ووقع في حبالها وأصبح أسير هواها ونسي واجبه العسكري وفضل أن يعيش معها في الاسكندرية معرضا عن زوجته « أوكتاف » وشقيقة زميله « اكتافيو » .

واقعة اكتيوم

وغضب « اكتافيو » لمسلك أنطونيو وأثار ضده الشعب الروماني فهب الجميع للانتقام منه وغسل الاهانة التي لطّخت شرف روما الحربي ، وأعلن مجلس الشيوخ الروماني الحرب على كليوباترا لأنها تآمرت مع أنطونيو على إسقاط الامبراطورية الرومانية . فأعدت جيشاً وأسطولاً خرجت بهما مع حبيبها أنطونيو لملاقاة الأسطول الروماني في مياه البحر المتوسط ، فتقابل الأسطولان عند أكتيوم على الساحل الغربي لبلاد الأغريق ، وهناك تفرق الأسطول المصري وفرت كليوباترا إلى مصر وأعقبها أنطونيو فانضم معظم الجيش المصري إلى اكتافيو ، ولم يكتف الاخير بهذا بل تبعهما إلى الاسكندرية .

مصير انطونيو

وحاولت كليوباترا عبثا أن تكسب قلب (اكتافيو) ولما لم تجد إلى استمالته سبيلا أرسلت الى انطونيو تخبره بأنها تفضل الانتحار فظنها قد ماتت وأسرع الى أبواب غرفته فأوصدها وأمر أحد عبيده

أن يطعنه بسيفه ، ولكن كان جواب العبد الخاص لسيده أن طعن نفسه فخر مضرجا بدمائه ، حينذاك أمسك (انطونيو) بخنجره وطعن نفسه فسقط وامتزجت دماؤه بدماء عبده ، وبينما هو كذلك جاءه أحد ضباط كليوباترا يقول إنها لاتزال على قيد الحياة ، فأمر أن يحمل اليها سريعا وأظهر لها أنه سعيد إذ يموت بين ذراعيها .

مصير كليوباترا

ولما اقترب موعد الرحيل إلى روما فكرت « كليوباترا » فى الخلاص فلم تجد خيرا من الانتحار ، فوضعت حية على ذراعها لدغتها وسرى السم الى قلبها فماتت وبموتها فقدت مصر استقلالها وأصبحت ولاية رومانية .

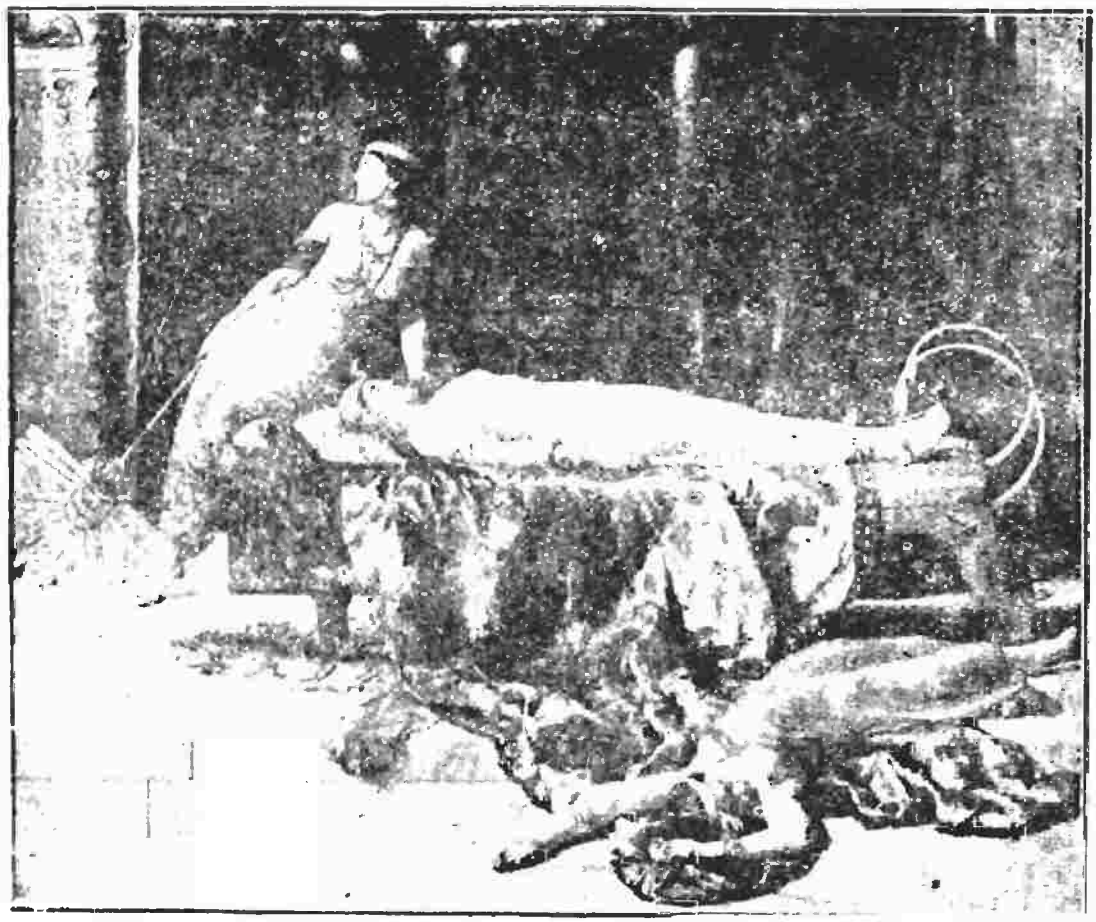

« كليوباترا على فراش الموت »

١٣ – مميزات الحضارة الرومانية

١ — الديانة

أثر الاغريق : أخذ الرومان عن الاغريق تعدد الآلهة وطرق إقامة الشعائر الدينية ، فقد شاعت الأساطير الأغريقية بين الفلاحين الرومان واعتقدوا بقدم آلهة الاغريق وبأنهم أسلاف آلهتهم الجدد ، ولذا نجد الرومان قد أخذوا آلهة الاغريق ووضعوا لها الأسماء الجديدة وأحاطوها بنفس الأساطير التى رويت عن آلهة الاغريق الأقدمين ، ثم أخذوا عنهم كذلك عبادة النار المقدسة والموتى من أجدادهم وقوى الطبيعة كالماء والهواء ، والقوى النفسية والعواطف كالحب والسلام والنصر والرحمة والعدل والحظ ، وجعلوا لكل منها إلهاً خاصا .

الآلهة : وأهم آلهة الرومان (جوبتر) إله السماء الاعظم ورب الأرباب و (مارس) إله الحرب وسمى شهر مارس نسبة اليه ، و (بينو) حامية النساء وربة الزواج والولادة ، و (مينرفا) ربة الحكمة ، و (فستا) ربة التدبير المنزلى وحامية الحياة العائلية ، ثم (كيريس) ربة الزرع والحصاد و (مركير) رسول الآلهة ورب التجارة ، و (فولكان) إله النار والصناعات المعدنية وغير هؤلاء آلهة كثيرون ، وكانت روما تحت حماية الآلهة جميعا وخصوصا (جوبتر وبينو ومينرفا) . وكان الكابتول هو المقر الرئيسى لعبادتهم .

٢ — النظام الاجتماعى

الكفاح بين الاشراف والعامة : كانت روما فى خلال القرون الأولى للجمهورية منقسمة الى طبقتين مختلفتين :

(١) طبقة (البطارقة) أو الأشراف وكانوا يشبهون الأشراف فى أثينا قبل إصلاحات (سولون) من حيث استئثارهم بكل الوظائف لأنفسهم وحرمان الطبقات العامة منها .

(٢) طبقة (البلبيان) أو العامة وكانت محرومة من الوظائف العامة ومعظم أفرادها على جانب عظيم من الفاقة ، وكان قانون الديون في روما لا يختلف عن نظيره في أثينا ،

« تمثال ميزرفا - *Minerva* ربة الحكمة »
وهو محفوظ بمتحف الڤاتيكان بروما

ميزرفا من أعظم آلهة الرومان . وهي راعية الفنون والحرف والصناعات ، وتعتبر في وقت الحرب قائدة الجيوش الى النصر ، ومن ثم صوروها بسلاحها . واعتبروها أخيراً مخترعة المزامير وحامية الزمارين

ولذا نجد عدداً عظيما من البلبيان يصبح رقيقاً عن طريق الديون فى الحرب التى قامت لطرد الملوك وإقامة الجمهورية ، وهكذا تعقدت الحال الداخلية وباتت تنذر بالشر المستطير.

تعيين التربيون : لذا فكر الفقراء من الطبقة الثانية فى الهجرة من روما، واختاروا مكانا يسمى (الجبل المقدس) وعزموا على أن يقيموا هناك مدينة لأنفسهم عام ٤٩٤ ق. م . ولكن السادة البطارقة وجدوا أنفسهم فى أشد الحاجة إلى البلبيان لأنهم الأيدى العاملة فى خدمتهم وفى فلاحة الأرض ، فصالحوهم على شروط أهمها نسخ الديون القديمة ومنحهم الحرية وتعيين نائبين عنهم يسميان (بالتربيون) يرعيان مصالحهم ويدافعان عن حقوقهم وخوّل لهما أن يوقفا تنفيذ أى قانون فيه مساس بحقوق البلبيان ، وأهم من هذا كله أن اعتبرت شخصية التربيون مقدسة ، وفرض على من يتعرض لهما عقاب الأعدام .

الالواح الاثنى عشر : واستخدم التربيون سلطتهما لتوسيع دائرة الحقوق السياسية لطبقة العامة فأعلنا أن العدالة لا يمكن أن تأخذ مجراها ما دامت القوانين غير مدوّنة لأن القاضى يستطيع أن يتبع هواه ما دام الشعب يجهل القوانين ، وظل البطارقة يعارضون فى هذا عشر سنوات ، وأخيراً أُرسلت البعثات إلى بلاد الاغريق لدراسة قوانين (سولون) الشارع الآثينى العظيم . وتألفت لجنة مكونة من عشر أعضاء ظلوا يعملون سنتين فى وضع القوانين الرومانية ، وأخيراً كتبت هذه القوانين على اثني عشر لوحاً من البرنز وعلقت فى ساحة السوق العامة للمدينة عام ٤٥٠ وكان يفرض على تلاميذ المدارس فى روما أن يحفظوا ما دوّن على هذه الالواح عن ظهر قلب .

المساواة السياسية : ولما اتسع نطاق روما وزادت ثروتها زاد نفوذ العامة تبعا لذلك وأصبح الكثيرون منهم على جانب عظيم من الثراء عن طريق التجارة ، وأصبحت لهم مصالح فى الحكومة لا تقل عن مصالح البطارقة ، فرغبوا فى المساواة بهم فى كافة الحقوق السياسية . وفى عام (٤٤٤ ق . م .) نجحوا فى أن يختار منهم القنصل ، وظل العامة يجدّون فى الحصول على امتيازات اخرى حتى زالت كل الفوارق التى كانت بينهم وبين الاشراف وأصبح مجلس الشيوخ ينوب عن الشعب الرومانى من غير تمييز بين الطبقات .

المرأة : فى خلال القرون الأولى للجمهورية كانت تحتجب الفتاة حتى الزواج ، وتتمتع بعد هذا بشىء من الحرية فتحضر التمثيل والحفلات الرياضية والمصارعة ، ومنذ أواخر عهد الجمهورية خرجت المرأة من عزلتها فانحطت منزلتها الاجتماعية وكثر الطلاق وانحلت الرابطة الزوجية ، وكان هذا من أهم العوامل فى اضمحلال الدولة الرومانية .

المصارعون — *Gladiators* : والمصارعة من أهم ما كان يشهده المتفرجون فى المدرجات الرومانية ، أخذها الرومان عن الأتروريين ، والأصل فيها أن الأتروريين كانوا يجعلون الأسرى يتصارعون ويفتك بعضهم ببعض فى حفلات المآتم كى تكون دماؤهم رحمة وسلاماً على ارواح من قتلوا فى الحرب ، وتبدلت الحال فى عهد الامبراطورية الرومانية حتى اصبحت مشاهدة الدماء فى ميادين المصارعة لذة لأرواح الاحياء ، بل ان المصارعة اصبحت فناً يتعلمه الأولاد فى مدارس خاصة ، ويكون بين الرجلين صراع يقضى فيه احدهما على صاحبه والناس من حولهما يهللون ويطربون ، وقد تكون المصارعة بين سبعين أو نمرين أو دبين أو بين الانسان وأى وحش آخر فيمزق جسده وينهشه على مشهد من المتفرجين الذين يجدون فى هذه المشاهد الدموية تسليه وتفكهة ، ولعل هذه من أبشع المظاهر فى حياة الرومان الاجتماعية .

الرق : كان عدد الرقيق فى عهد الجمهورية وأوائل الامبراطورية يعادل عدد الاحرار ، وكانوا يستخدمون فى البيوت وفى فلاحة الأرض ، ولكنهم كانوا يعاملون معاملة قاسية ، فيقيدون بالسلاسل وينامون فى سجون تحت الأرض ، وتحسنت معاملتهم نوعاً ما فى عهد الامبراطورية وعلى الخصوص بعد ظهور المسيحية ، إذ صدرت المراسيم الامبراطورية التى تحرم على السيد قتل العبيد ومعاملتهم بالشدة وبيعهم للسماسرة الذين يقذفون بهم فى ميادين المصارعة . وكان هذا فاتحة الاصلاح الاجتماعى الذى انتهى بعد هذا باثنى عشر قرناً بالغاء الرق من أوروبا المسيحية .

٣ — نظام الحكم

الملكية الاولى والجمهورية : كانت الملكية الاولى فى روما ملكية بطريركية شبيهة بالملكيات الصغيرة التى وصفها شاعر الاغريق « هوميروس » ، واستبد الملك

« تاركوين » برعاياه فطردوه وأسقطوا الملكية سنة ٥١٠ ق. م. وأقاموا الحكم الجمهوري ، وجعلوا السلطة في يد اثنين من القناصل تنتخبهما الجمعية العمومية لمدة سنة واحدة ، وكان مجلس الشيوخ يقدم رأيه للقنصلين ولكن ليس له أن يقيدهما بتنفيذه .

عصر الامبراطورية : وفي عهد الامبراطورية ضاعت أهمية مجلس الشيوخ القديم الذي كان مبعث الهداية والرشاد وموضع القوة وأصبح مجرد هيئة قضائية عليا ، وأصبح منصب القنصلية مجرد منصب فخري ليس لصاحبه صوت مسموع في إدارة الدولة ، وفي عهد الامبراطورية نشأت ظاهرة جديدة هي وراثة المناصب الكبيرة التي أصبحت وقفاً على بعض الأسرات دون غيرها .

شخصية الامبراطور : وكانت شخصية الامبراطور مقدسة يعبده الرعايا في كل أنحاء الامبراطورية ويقدمون البخور والقرابين لتمثاله ، ولكن المسيحية نزلت بالامبراطور من مرتبة الرب إلى مرتبة القديس ، وبقي لموظفي الحكومة ما كان لهم من الاحترام والقوة على أساس أنهم قريبون من القديس الكبير ، وكان يعتمد الامبراطور في كل شئون التشريع على مجلس جديد أطلق عليه « مجلس الدولة »

اعمال الحكومة : وكانت مراسيم الامبراطور تصدر من روما وتنفذ في طول الامبراطورية الرومانية وعرضها ، وكانت مشيئة الامبراطور هي القانون الأعلى ، وكان يبعث بالموظفين الذين يشرفون على دقائق الادارة في البلاد البعيدة ، وكانت الحكومة فوق إقرار العدالة وحفظ الأمن والدفاع عن الحدود تهتم بمراقبة تجار الحبوب والقصابين والخبازين مراقبة شديدة ، وتحارب الفوضى والاحتيال ، وترعى الضعيف والرقيق ، وتحمي الاحرار الفقراء من عسف الأغنياء ، والعمال من استبداد أصحاب الأعمال ، والآباء من عدم وفاء أبنائهم ، وترغم كل شخص على أن يخلف صناعته لابنه ، وكانت تمد الطبقات الفقيرة في المدن بالمال والطعام واللباس ، وجاوزت هذا الى اقامة الملاهي لهم لتصرفهم عن التفكير في السياسة ، وعلى الجملة فقد كانت الحكومة في روما تعمل على تنظيم كل مرافق الحياة في الامبراطورية الرومانية بأسرها .

٤ — العمارة

العقود : كان الرومان ينقلون عن الاغريق طراز الابنية ، ولكنهم زادوا عليها مظهراً جديداً هو العقود أو (الاقواس) التى قلما ظهرت فى عمارة الاغريق أو عمارة الشرقيين رغم أنهم عرفوا أصولها من قديم ، وبواسطة هذه العقود استطاع الرومان أن يقيموا سقوف الأبنية العظيمة ويقيموا على الانهار والترع قناطر أمكنها ان تقاوم الفيضان وتعمر حتى اليوم .

الابنية المقدسة : ومعابدهم على العموم مثل معابد الاغريق ، ولكنها تمتاز عنها بالقباب التى نعتبرها بحق ايطالية النشأة ، وأهم نماذج المعابد الرومانية (البانثيون) (*Pantheon*) بروما ، وهو لا يزال حتى اليوم حافظاً لرونقه .

السرك والمدرج : السرك عند الرومان هو ما نسميه اليوم حلبة السباق ، وكانت فى روما حلبات كثيرة اهمها سرك (ماكسيماس ـ *Circus Maximus*) وكان يسع ٣٠٠ الف متفرج ، أما المسارح المدرجة فقد أخذ الرومان تصميمها عن الاغريق ، والمدرجات الرومانية تكاد تكون طبق الاغريقية تماما ، وأهم المدرجات الرومانية (الكولوسيام) وكان يتسع لجلوس اكثر من أربعين الف متفرج ، ولا تزال انقاضه حتى اليوم أكبر شاهد على عظمة الرومان ومجدهم القديمين .

المجارى : بدأ الرومان منذ القرن الرابع قبل الميلاد يصنعون المجارى تحت الأرض على النظام المعروف الآن فى المدن ، فاذا صادف الصناع حفرة تحت الارض شيدوا فوقها العقود التى كان ارتفاع بعضها ١٠٠ قدم ، وهذه العقود الهائلة من أهم اعمال البناء القديمة .

الحمامات أو (ثيرما *Thermæ*) كانت الحمامات الرومانية تشمل غرفاً للماء البارد وأخرى للساخن وأماكن للسباحة والراحة والتمرينات الرياضية ، ومكاتب للقراءة ومتاحف تضم الكثير من النفائس ، وابهاء فسيحة ذات عمد للسمر والتسلية ، وعلى الجملة فقد كانت الحمامات أندية يتمثل فيها الجمال ويجتمع فيها الشعب الرومانى على

اختلاف طبقاته إذ كانت تفتح ابوابها للجمهور مجانا .

الطرق : اهتم الرومان بتمهيد الطرق ورصفها كي تربطهم بمستعمراتهم وتسهل عليهم نقل الجنود بسرعة من بلد الى آخر ، ولاتزال حتى اليوم آثار هذه الطرق باقية فى انجلترا والكثير من املاك روما القديمة ، ويجب الا ننسى فضل الطرق الرومانية فى إنعاش التجارة وتأمين المسافرين .

٥ — الأدب والتاريخ

أثر الاغريق فى الادب : كان الادب الروماني تقليداً ومحاكاة للادب الاغريقى ، ولكنه برغم هذا كان وسيلة هامة لتوصيل أدب الاغريق الى العالم الحديث ، وكانت المرحلة الأولى أن بدأ الرومان بنسخ الدرامات الاغريقية ودراستها فى روما ، واشتهر من كتاب الدرامات فى عهد الجمهورية الرومانية ليفياس ونيفياس وانياس وبلوتاس ، والحق ان معظم كتاباتهم كانت ترجمة للقطع الاغريقية أو اقتباساً منها وظهر فى أواخر ايام الجمهورية شاعران عظيمان هما لوكريتياس وكاتولاس ، أماشعراء اغسطس فاهمهم فرجيل وهوراس وأوفيد ويعتبر عصرهم العصر الذهبي للآداب الرومانية .

الهجاء والهزليات : يزدهر الهجاء حيث تسيطر الرذائل وتسود الأنانية والخلق الفاسد ، ولا ريب فى أن الانحلال الاخلاقى قد ظهر بعد عصر أغسطس بشكل مروّع ، فظهر أديبان يتهكمان بمفاسد ذلك العصر ويحملان لواء الهجاء ، هما برسيوس وجوفينال ، وبعد موت الأخير سنة ١٢٠ ميلادية لم تنجب روما شاعراً يستحق أن يذكره التاريخ .

الخطابة : الخطابة وليدة الحرية السياسية ، وقد رأينا كيف أن الديموقراطية فى أثينا أنهضت الخطابة العامة ، كذلك شأن روما ، ظهر خطباؤها فى عهد الجمهورية ، وأعظمهم شيشرون — *Cicero* المتوفى سنة ثلاث وأربعين قبل الميلاد .

المؤرخون الاربعة : أنجبت روما أربعة من المؤرخين النابهين هم قيصر وساليست وليفى وتاكيتاس ، اشتهر الاول بتعليقاته على حرب الغال ، أما ليفى فقد قلنا إنه كتب تاريخ روما منذ نشوئها حتى سنة (٩ ق . م .) ، أما تاكيتاس فاشهر مؤلفاته (جرمانيا) وهو كتاب عالج فيه عوائد وأخلاق الالمان ، وفيه موازنة قوية بين فضائل الالمان الذين لم يبلغوا مبلغا كبيراً من الرقى الفكرى وبين رذائل الرومان المثقفين .

٦ — القانون

عرفنا أن الرومان كانوا مقلدين للاغريق فى معظم النواحى الأدبية والفنية ، أما من ناحية القوانين فقد اختلفت الحال تماماً ، ففى ميدان القانون والعلم السياسى أظهر الرومان أنهم معلمون لا تلاميذ لغيرهم ، ولما كانت لكل شعب رسالة يؤديها للعالم وللحضارة ، فقد كانت رسالة الرومان ان يتركوا من ورائهم للعالم ميراثا خالداً هو القانون الرومانى ، ويرجع الفضل فى جمع القوانين الرومانية وترتيبها الى الامبراطور (جستنيان) الذى جلس على عرش الامبراطورية الرومانية فى الشرق سنة ٥٢٧ ميلادية ، ومالبث أن ألّف لجنة من كبار المشرعين وعلى رأسهم (تريبونيان — *Trebonian*) ، فأخرجوا (القانون المدنى الرومانى) ، ويتكون من ثلاثة اجزاء (١) القانون — *Code* (٢) الفتاوى — *Pandects* (٣) النظم — *Institutes* . وينص القانون الرومانى على حماية الزوجات والأطفال من قسوة عائلهم ، ويقول إنه خير فى نظر العدالة أن يفر المجرم من طائلة العقاب من أن يعاقب البرىء ، وكان القانون الرومانى يعتبر المجتمع الانسانى جماعة واحدة تخضع لقانون واحد وملك واحد هو الامبراطور .

٧ — اللغة

كانت لغة الرومان الأقدمين هى (اللاتينية) التى أخذ عنها بعض شعوب أوروبا لغاتها الحديثة ، ولا يزال يطلق على الفرنسيين والايطاليين والاسبان الشعوب الرومانية لأنها تتكلم لغات من أصل لاتينى ، وهذا لا شك فضل كبير لروما على هذه الشعوب .

٨ — المسيحية والبابوية

أهم مظاهر الحضارة الرومانية الدين المسيحى ، لأنه أبقى لروما الزعامة الدينية بعد أن فقدت الزعامة السياسية بانتقال العاصمة الى القسطنطينية ، وذلك لأن الناس كانوا ينظرون الى روما كوسط للثقافة ومقر للقانون والحكم ، فلما انتقل الامبراطور إلى بوزنطة نظر الناس إلى أسقف روما (البابا) كحامل لواء القانون والحكم ، واعتبروه المرجع الاعلى لهم فى كل الشئون الدينية والسياسية ، ولا يزال البابا حتى اليوم متربعاً على عرشه فى قصر الفاتيكان بروما ، ولا تزال الشعوب الرومانية موالية له خاضعة لنفوذه الدينى ، وليس من شك فى أن روما هي صاحبة الفضل فى بقاء البابوية حتى اليوم رمزاً للوحدة المسيحية .

١٤ — المسيحية

الحالة قبل عيسى

كانت الديانات الشرقية الوثنية سائدة فى أنحاء الامبراطورية والى جانبها دين موسى عليه السلام . ولكن اليهود لم يحاولوا نشر دينهم بين الشعوب الأخرى ضناً منهم على الناس برحمة الله واعتقاداً بأنهم الشعب المصطفى ، فلما ظهر عيسى بين بنى إسرائيل فى فلسطين يبلّغ رسالته لليهود اعتنق الفقراء دينه القائم على أساس المحبة الانسانية والرعاية الألهية ، وكان ذلك فى عهد الامبراطور « تيبيرياس » ، إلا أن الرومان أساءوا إلى عيسى وبقى مضطهداً حتى توفاه الله ورفعه اليه وطهّره من الكافرين .

العهد الجديد

وقام تلميذه بولص وهو حوارى كان يشتغل بصنع الخيام فبشر بدين أستاذه فى آسيا الصغرى وبلاد الاغريق وروما نفسها ، وكتب حياة المسيح باللغة الأغريقية فى إنجيله المعروف باسمه ، وقام بعض أتباع المسيح مثل لوقا ومرقص ويوحنا بكتابة سيرة المسيح ، ثم جمعت كتاباتهم كلها فى كتاب واحد أطلق عليه (العهد الجديد)

وتتلخص أسباب اضطهاد المسيحيين فيما يلى :

أسباب الاضطهاد

(١) كان الرومان يفرضون على الشعوب التابعة لهم عبادة قيصر إلى جانب إقامة شعائر دينهم الخاصة ، وكانت المسيحية تعارض هذا لأنها تبشر بالوحدانية .

(٢) كان المسيحيون يستنفدون جهدهم فى نشر دينهم فى أنحاء

الامبراطورية على نقيض اليهود الذين احتفظوا بدينهم لأنفسهم .

(٣) أعلن المسيحيون أن دينهم ينسخ كل العقائد الوثنية التي كانت تسود الامبراطورية فى ذلك الوقت وقالوا بأن المسيحية تمحو كل الفروق بين الطبقات الاجتماعية وتربط الانسانية كلها برباط المحبة والمساواة .

طرق الاضطهاد

وكان الرومان يهدمون كنائس المسيحيين ويقتلونهم ويعذّبونهم بالصلب وطلاء أجسادهم بالقار، بل أكثر من هذا أنهم كانوا يلقون بهم فى ميادين المصارعة تنهشهم الوحوش ، وكانوا يحرقون نسخ الانجيل التى تصل إلى أيديهم ، وبالاختصار فان المسيحيين لاقوا فى سبيل نشر دينهم صنوف العذاب والبلاء ، ولكنهم ثبتوا على يقينهم فكان لهم فى الختام نصر مبين .

دقلديانوس

وبلغ الاضطهاد أقصاه فى عهد (دقلديانوس) الذى أراد القضاء على المسيحية فاستباح دماء أهلها حتى سمى عهده فى مصر (بمصر الشهداء) .

قسطنطين

وكان أول من اعترف بالمسيحية ورفع عن أهلها الظلم الامبراطور قسطنطين الاكبر ، ولكنه كان مع هذا يقر الوثنية لدرجة أنه سمح أن يبنى له معبد خاص لعبادته بعد موته .

المذهب الارثوذكسى

وفى عام ٣١٨ قام نزاع فى الاسكندرية بين القسيس «أريوس» الذى أعلن أن المسيح مجرد رسول من قبل الله الذى خلقه بمحض مشيئته وبين الاسقف «اثناسيوس» الذى أكد أن مادة الابن من مادة الأب وأنه يساويه فى اللاهوت وأعلن صحة القول بالتثليث

وأدّى هذا النزاع الى عقد مؤتمر دينى مسيحى عام فى نيقية سنة ٣٢٥ برئاسة قسطنطين ، وقرر المؤتمر بعد جدال عنيف تكفير مذهب « آريوس » وأطلق على مذهب « اثناسيوس » المذهب (الارثذوكسى) أو الصحيح .

قوة البابوية

وكانت نتيجة هذا نشاط الوثنية من جديد حتى جاء عصر الامبراطور « ثيودسيوس » (٣٧٨ — ٣٩٥) الذى أعلن سيادة المسيحية وحدها وحرم اعتناق الديانات الوثنية الأخرى ، ومنذ ذلك الوقت بدأت سلطة الكنيسة تزداد حتى نافس البابوات الأباطرة وقام بين الفريقين نزاع دام طوال القرون الوسطى .

١٥ — احوال المصريين فى العصر الرومانى

تمهيد

قدمنا فى تاريخ البطالسة علاقة مصر بروما فقلنا إنها كانت فى عهد بطليموس الثانى قائمة على أساس الصداقة والمساواة. ولكن لم تلبث مصر أن أصبحت تحت حماية روما منذ ضعف ملوك البطالسة، ثم صارت ولاية رومانية فى عهد « كليوباترا » آخرة ملوك البطالسة.

مظاهر الحكم الرومانى

وكانت الاسكندرية فى عهد البطالسة الوارثة الحقيقية لمجد أثينا العلمى، ولكن منذ أحتلها الرومان ضاعت أهميتها العلمية وأهملت الفنون وانقلبت مجرد حقل لانتاج الغلال وإرسالها إلى روما، أضف إلى هذا أن حالتها الداخلية لم تكن مستقرة فكثيراً ما قامت الفتن الداخلية بين طوائف الاغريق واليهود، أو بين المصريين والجنود الرومانية ويتميز الحكم الرومانى لمصر فوق هذا باضطهاد الولاة والأباطرة للطوائف المسيحية.

الحكومة

أما الحكومة فقد أبقاها الرومان على ما كانت عليه أيام البطالسة، ومعنى هذا أن حكام الأقاليم بقوا فى مناصبهم يساعدون الحكومة المركزية فى الاسكندرية، وأصبح المرجع الأعلى لهؤلاء الحكام هو الوالى الرومانى الذى ينفذ مراسيم الامبراطور ويرعى مصالح الامبراطورية، وكان يساعده فى الحكم ثلاثة من كبار الموظفين يحكمون باسمه مصر العليا والوسطى والسفلى، وكان الوالى

فوق هذا هو الرئيس الأعلى لجيش الاحتلال .

تراجان

وبرغم سوء الحال فقد ظهر بعض الاباطرة الذين أهتموا بتعمير مصر، فمثلا أعاد « تراجان » حفر الخليج القديم الذى يصل النيل بالبحر الاحمر وجدد بناء حصن بابليون الذى يعزى إلى عهد الفرس وأتم معبد فيله (قصر أنس الوجود) المقام على جزيرة فى النيل قرب أسوان .

دقلديانوس

وبعد عهد « تراجان » أهمل كل إصلاح وساءت الحال حتى جاء عهد «دقلديانوس» الذى نظم جباية الضرائب لما فيه مصلحة الأهالى فأحبه أهل الاسكندرية ونصبوا له (عمود السوارى) تخليداً لذكراه ، ولكنه كان يضطهد المسيحيين ويعمل على القضاء عليهم لأنهم رفضوا عبادته فأقام لهم المذابح ، ومن أشهر ضحاياهم فى ذلك العهد «القديسة دميانة » صاحبة الدير الشهير فى جهة بلقاس ، إذ رفضت الارتداد عن المسيحية وراحت ضحية التمسك بعقيدتها ، واعتبر حادث إعدامها مبدأ التاريخ القبطى (٢٨٤ م.) ويطلق على عهد دقلديانوس فى مصر (عصر الشهداء) لكثرة الذين راحوا شهداء الاضطهاد .

الفرس والعرب

ورغم أن (قسطنطين) جعل المسيحية الدين الرسمى للامبراطورية إلا أن هذا لم يضع حدا للفتن الداخلية فى مصر ، فقد قامت المنازعات بين أتباع المذاهب المسيحية المختلفة وتعقدت الحال لدرجة مكنت الفرس من فتح مصر عام ٦١٧ ، ولكن الرومان استردوها ثانية ، ثم ما لبثت أن سقطت فى أيدى المسلمين إذ فتحها عمرو بن العاص .

١٦ — انقسام الدولة وظهور القسطنطينية

هذا الفصل خاص بطلبة الأزهر وليس مقرراً لطلبة المدارس

أباطرة القرن الاول

بعد أن انقضى عصر أغسطس الذهبي رقى عرش الامبراطورية (تيبيرياس) (١٤ — ٣٧) بوصية من أغسطس وخلفه أباطره كثيرون أهمهم (كاليجولا) ونيرون (٥٤ — ٦٨) و(تراجان) (٩٨ — ١١٧) الذى تمكن من ضم جزء عظيم من شمال بلاد البلقان الحالية وبلغت الامبراطورية فى عهده أقصى اتساعها ومنتهى عظمتها، فكانت تمتد من المحيط الأطلسى إلى الفرات ومن انجلترا إلى مدار السرطان وهذه المنطقة بلغ عدد سكانها ١٢٠ مليونا بما فى ذلك العبيد.

القرن الثاني

أما القرن الثانى فأهم أباطرته «مارك أورليوس» (١٦١ — ١٨٠) وكان محاربا ماهراً وحاكما قديرا وفيلسوفا عظيما، وبموته انقضت أيام مجد الامبراطورية وبدأ البرابرة يغيرون على أملاك روما من كل ناحية.

القرن الثالث

ثم جاء «كراكلا» (٢١١ — ٢١٧) الذى منح كل سكان الامبراطورية الحقوق المدنية الرومانية، ولكن ضعف روما أدّى إلى زيادة سلطان القواد والجنود وبدأوا يولون الاباطرة ويعزلونهم خلال القرن الثالث.

اصلاحات دقلديانوس

ويتميز هذا القرن فوق الحروب الخارجية مع البرابرة بحروب أهلية أخرى كادت تقضى على حياة الامبراطورية لولا ظهور أباطرة أقوياء أعظمهم «دقلديانوس» (٢٨٤ — ٣٠٥) الذى رأى

فى اتساع رقعة الامبراطورية خطراً قد يؤدى إلى انحلالها فقسمها إلى أربعة أقسام على كل منها وال من قبله ، ثم أدخل عدة إصلاحات قوّت من شأن الحكومة المركزية .

القرن الرابع قسطنطين

وأخيرا حكم قسطنطين الأكبر (٣٠٦ - ٣٣٧) فأعاد تنظيم الحكومة ونقل عاصمة ملكه الى مدينة بوزنطة التى كانت أهم المدن التجارية الأغريقية وأطلق عليها القسطنطينية نسبة اليه ، ولعل قسطنطين اختارها عاصمة له لمناعتها وتوسطها بين أملاكه ، وكان لنقل العاصمة إلى بوزنطة آثار كثيرة أهمها مايأتى : —

آثار نقل العاصمة

(١) انتقل مقر الحكم الرومانى الى بلد إغريقى ، فتأثر الرومان بمظاهر الحضارة الأغريقية وحلّت اللغة الأغريقية محل اللاتينية لدرجة أنها أصبحت اللغة الرسمية .

(٢) كان انتقال الامبراطور الى بوزنطة داعيا الى تقوّى البابا فى روما فأصبح ينظر اليه كحامي روما من غارات البرابرة فوق ما كان يتمتع به من الرئاسة الدينية .

تقسيم الامبراطورية

وبعد قسطنطين قسّمت الامبراطورية بين أولاده الثلاثة ، وفى خلال القرن الرابع توحّدت مرة أخرى ، وأخيرا أدّت هجمات البرابرة على روما الى تقسيم الامبراطورية الي قسمين ، الامبراطورية الشرقية وعاصمتها القسطنطينية والغربية وعاصمتها روما عام ٣٦٥ ، وقد سقطت الامبراطورية الغربية على يد القوط عام ٤٧٦ م أما الدولة الشرقية فقد استطاعت مقاومة هجمات السلاف والقوط والبلغاريين والفرس والعرب ، ولم تسقط إلا على يد الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣م .

تلخيص الكتاب الثانى

١ـ أثر العوامل الطبيعية فى حضارة الاغريق: ساعدت الجبال على التقسيم السياسى ، وساعد وجود المرافئ على ترقية الملاحة ، وقامت الزراعة لصلاحية المناخ والتربة .

٢ ـ مواطنو الاغريق الاولى : الايجيون أول من سكنوا بلاد الاغريق ، ثم نزح اليها الآريون واختلطوا بهم وتكون من الجميع الشعب الهلينى أو الاغريقى ، وأشهر القبائل الآرية الآخيون والدوريون .

٣ ـ هوميروس والجامعة الهلينية : هوميروس شاعر اغريقى له قصائد كثيرة أهمها الأنياذه والأودسا ، وشعره سجل لحالة الاغريق البدوية الأولى ، فقد عرفنا منه انهم كانوا يفلحون الارض ويتكلمون لغة واحدة ويجتمعون لتكريم الآلهة فى اولمبيا وغيرها ويحكمون حكما ملكياً ، وأهم مظاهر الجامعة الهلينية الالعاب الأولمبية والمجامع الدينية ووحدة اللغة واشعار هوميروس .

٤ ـ اسبرطة وأثينا: ليكورغ هو الذى وضع الدستور الاسبرطى وبمقتضاه يحكم البلاد ملكان والى جوارهما الجمعية العمومية ومجلس الشيوخ ، ووضع ليكورغ نظاماً رياضياً كي يخلق من الاسبرطيين شعباً حربياً فنجح فى هذا ولكن أهملت الفنون والآداب ـ أما أثينا فقد ظهر فيها سولون وأنقذ الأهالى من قانون الدين . ثم ظهر بركليس فحول أثينا الى ديموقراطية تامة ، ويعتبر عهده عصراً ذهبياً للآداب والفنون والرفاهية الاثينية ، وقامت فى ذلك الوقت (حروب البلوبونيز) بين اثينا واسبرطة انتهت بهزيمة أثينا وتحطيمها .

٥ ـ مميزات الحضارة الاغريقية :(١) كان الاغريق يعبدون مظاهر الطبيعة ويجعلون لها الآلهة على اشكال البشر (٢) اما من حيث الحكم فهم الذين عرفوا الحكومات الملكية المقيدة بمجالس الشيوخ والجمعيات العمومية(٣) وكانت للعمارة أوضاع أهمها الطراز الدورى والطراز الكورنثى والطراز الايونى ، وكان للدين أثر كبير فى عمارتهم وأهم معابدهم دلفى والبارثنون والتسيوم والأولمب (٤) وأهم المسارح مسرحا ديونيساس وابيدوراس (٥) واشهر من الحفارين فيدياس وبراكستيل وكاريس (٦) واشهر من المصورين بوليجنوتس

وزوكسيس وبارهاسيس وابيلاس . (٧) أما الشعر فقد نبغ فيه هوميروس وهيسيود وهما من شعراء الملاحم ، واشتهر بالشعر الغنائى سافو وانا كريون وسيمونيدس وبندار ، ومن حملة لواء الدرام اسكيلاس وسوفوكليس واريبيدس وكلهم من شعراء التراجيدى ، أما شعراء الكوميدى فاعظمهم اريستوفان . واشتهر فى المؤرخين هيرودوت وثيوسيديدس واكسينوفون ، ونبغ فى الخطابة ديموسينيس واسكينوس (٨) أما الفلاسفة الأغريق فاشهرهم طاليس وبيتاجوراس وانا كساجوراس وسقراط وافلاطون وأرسطو (٩) واشتهر من علماء الطبيعة والرياضة اقليدس وارشميدس ومن علماء الفلك اديستاكاس وبطليموس ومن علماء الطب بقراط (١٠) وكان الأولاد يتعلمون النحو والموسيقى والألعاب الرياضية (١١) وكانت المرأة محتجبة فى المقاطعات الايونية على عكس الحال فى اسبرطة والمقاطعات الدورية . (١٢) وكان الرق من مميزات النظام الاجتماعى ، ووجوده الى الاعمال الشاقة كالزراعة والخدمة على كاهل الرقيق وانصرف الأحرار لتحصيل العلوم والفنون والآداب .

٦ — ظهور مقدونيا : انتصر فيليب المقدونى فى وقائع كثيرة أهمها واقعة قيرونة وأخضع الاغريق جميعا لسلطانه ، وكان يرغب فى محاربة الفرس ولكنه مات وترك ذلك لابنه الأسكندر الاكبر الذى انتصر على جيوش الفرس فى (إسوس) وغزا فينيقيا ومصر وأسس الاسكندرية ثم خرج من مصر قاصداً بلاد فارس ذاتها فانتصر فى أرابيلا واستولى على عاصمة الفرس ودخل افغانستان وسمرقند وبخارى والهند ، ثم رجع الى سوس ومنها الى بابل حيث مات بالحمى . وأهم نتائج فتوحه أنه صبغ آسيا بالصبغة الاغريقية ، أما بلاد الاغريق ذاتها فقد ضاعت أهميتها لنزوح سكانها الى البلاد التى فتحها فحلت الاسكندرية محل أثينا فى التفوق الأدبى .

٧ — قيام دولة البطالسة : كانت مصر من نصيب (بطليموس الأول) أحد قادة الاسكندر ، وهو الذى نقل جثة الاسكندر من بابل الى مصر ، واستولى على سوريا وبيت المقدس وفينيقيا وقبرص ، وأسس بالاسكندرية المجمع العلمى والمكتبة الكبرى ومعبد السرابيوم ، وخلفه على عرش مصر ابنه (فيلادلف) الذى ترجم التوراة الى الاغريقية وعقد معاهدة صداقة مع روما وأعاد حفر خليج سيزوستريس

وأقام منارة فاروس وبنى جزءاً من معبد فيله . أما (بطليموس الثالث) فقد غزا سوريا وبابل وفارس وطرابلس والنوبة وبنى معبد إدفو ومن بعده ضعف شأن البطالسة وزاد تدخل روما فى شئون مصر .

وكل ما يقال فى حضارة البطالسة انهم اندمجوا فى الشعب المصرى ، وتعتبر مصر فى أيامهم فى مصاف الدول المستقلة ، وظهر من علماء الاسكندرية إقليدس وأرشميدس وإراتوستين وديونيسوس وبطليموس الجغرافى ، وأهم آثارهم معابد فيله وادفو ودندرة .

٨ - كيف نشأت روما : انظر الى خريطة ايطاليا صحيفة ١٨١ تجد أن أهم اجزائها القديمة غاليا وتسكانيا وبلاد السمنيين وبلاد الايطاليين واللاتين الذين أسسوا روما .

٩ - نمو سلطة روما : انتصر الرومان على الأتروريين والسمنيين والغال وعلى الملك بيروس ، وبذلك أصبحت روما سيدة ايطاليا كلها وكانت روما تريد السيطرة على البحر المتوسط والتخلص من منافسة قرطاجنة لها فحاربتها وانتصرت عليها وصيرتها مستعمرة رومانية ثم استولت روما على مقدونيا وسوريا ومصر .

١٠ ، ١١ - عهد الحروب الاهلية : من مساوئ التوسع الرومانى جلب الرقيق لفلاحة الارض وزيادة عدد العاطلين فى روما وعسف الولاة فى حكم الاقاليم البعيدة ، وحاول تيبيرياس جراكاس وأخوه كاياس جراكاس اصلاح الحال ففشلت محاولاتهما وبدأ عهد ثورى حدثت فيه فتن كثيرة أهمها حرب الرقيق والحرب الاجتماعية وثورة المصارعين ، واخيراً ظهر الديكتاتور كاياس ماریاس وخلفه صلا وتألفت الحكومة الثلاثية الأولى من بومبيوس وكراساس وقيصر الذى تمكن من الاستئثار بالسلطة ، ولكن دبرت مؤامرة قضت على حياته وتألفت الحكومة الثلاثية الثانية من انطونيوس ولبيدوس واكتافيوس الذى استطاع أخيراً ان ينفرد بالحكم فأعلن امبراطوراً وبذلك سقطت الجمهورية وقامت الامبراطورية واطلق على اكتافيوس لقب اغسطس ، ويعتبر عهده العصر الذهبى فى تاريخ الآداب والفنون الرومانية لظهور الشعراء المجيدين فرجيل واوفيد وهوراس والمؤرخ الشهير ليفى .

١٢ - علاقة الرومان بالبطالسة : كانت فى عهد فيلادلف علاقة صداقة ومساواة انقلبت الى حماية فى عهد بطليموس الرابع والخامس والسادس لضعفهم ، وأوصى بطليموس الحادى عشر ان يكون العرش من بعده لابنته كليوباترا بالاشتراك مع أخيها بطليموس

الثانى عشر الذى عزلها وتم الصلح بينهما على يد قيصر فى مصر . وأخيراً مات بطليموس فانفردت هي بحكم مصر ، وكانت الحكومة الثلاثية الثانية قد قامت فى روما واصبح انطونيو حاكما على الاقاليم الشرقية فأحب كليوباترا وعاش معها فى الاسكندرية ، ولما علم اكتافيوس بذلك حاربه وانتصر عليه وعلى كليوباترا فى واقعة اكتيوم ودخل مصر وصيرها ولاية رومانية .

١٣ — **مميزات الحضارة الرومانية** : (١ — الدين) أخذ الرومان عن الاغريق ديانتهم وآلهتهم ووضعوا لها أسماء جديدة ، وأخذوا عنهم أيضا عبادة مظاهر الطبيعة والعواطف النفسية (٢ — النظام الاجتماعى) قام كفاح بين الاشراف والعامة انتهي بانتصار العامة وتدوين القوانين على الألواح الاثنى عشر ثم ختم اخيراً بالمساواة السياسية بين الفريقين ، أما المرأة الرومانية فقد انحطت منزلتها الاجتماعية وكثر الطلاق منذ خرجت عن عزلتها ، والمصارعة التى كان يتسلى بها الرومان فى المدرجات من أبشع المظاهر فى حياتهم الاجتماعية ، أما الرقيق فقد كانوا يعاملون معاملة قاسية ، وتحسنت حالهم نوعاً ما في العهد المسيحي . (٣ نظام الحكم) كانت الحكومة ملكية ثم ظهرت الجمهورية وأخيراً ظهرت الامبراطورية على يد (اغسطس) ، وكانت شخصية الامبراطور مقدسة ، وكان له ولاة يحكمون الأقاليم البعيدة وكانت الحكومة في روما تنظم كل مرافق الحياة فى الامبراطورية الرومانية بأسرها . (٤ — العمارة) نقل الرومان طراز العمارة الاغريقية وزادوا عليها العقود والقباب ، أما معابدهم ومسارحهم المدرجة فقد نقلوها عن الاغريق ، وعرف الرومان المجارى منذ القرن الرابع قبل ميلاد المسيح ، وكانت الحمامات أندية يجتمعون فيها للسمر والرياضة والقراءة واهتم الرومان بالطرق لنقل الجنود وتسهيل التجارة . (٥ — الأدب والتاريخ) كان الادب الرومانى تقليداً للادب الاغريقي واقتباساً منه ، وأعظم شعراء الجمهورية ليفياس ونيفياس وانياس وبلوتاس ولوكريتاس وكاتولاس ، ثم ظهر شعراء عصر اغسطس الذهبي ، ومن بعدهم حمل لواء الهجاء برسيوس وجوفينال ، كما اشتهر من الخطباء شيشرون ومن المؤرخين ليفى وتاكيتاس (٦ — القانون) ان اعظم ميراث خلفته روما للعالم هو (القانون الرومانى) وكان جمعه وترتيبه في عهد (جستنيان) (٧ — اللغة) وأخذ الاسبان والايطاليون والفرنسيون لغاتهم الحالية عن لغة روما اللاتينية (٨ — المسيحية والبابوية) فقدت روما زعامتها السياسية بظهور القسطنطينية وانتقال الحكم اليها ، ولكن

بقيت بها البابوية تسيطر على الشعوب المسيحية ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت البابوية رمزاً للوحدة المسيحية .

١٤ — **المسيحية** : قبل عيسى سادت الديانات الوثنية والى جوارها دين موسى ، ثم ظهر عيسى وظل مضطهداً حتى رفعه الله اليه ، وكتب تلاميذه سيرته فى الأناجيل الأربعة التى أطلق عليها (العهد الجديد) ولم يعترف عيسى بعبادة قيصر وأعلن ان ديانته تنسخ الديانات الاخرى ولذا اضطهد الرومان المسيحيين وهدموا كنائسهم واحرقوا الانجيل وبلغ الاضطهاد أقصاه فى مصر على يد (دقلديانوس) ثم جاء (قسطنطين) فاعترف بالمسيحية ، أما المذهب الأورثوذكسى فهو وليد الخلاف الذى قام فى الاسكندرية بين آريوس واثناسيوس ، والذى نشأ عنه نشاط الوثنية ، ثم جاء ثيودسيوس فأعلن سيادة المسيحية وحدها وحرم اعتناق الديانات الاخرى .

١٥ — **اموال المصريين فى العهد الرومانى** : ضاع ما كان لمصر من مكانة أدبية أيام البطالسة ، وقامت بها الفتن بين الاغريق واليهود أو بين المصريين والجنود الرومانية واضطهد الولاة الرومان سكان مصر المسيحيين وسمى عهد دقلديانوس (عصر الشهداء) فى مصر لكثرة الضحايا المسيحيين ، وظلت الفوضى الداخلية برغم اعتراف الامبراطور قسطنطين بالمسيحية ، حتى دخل المسلمون مصر بقيادة عمرو بن العاص فخلصوا البلاد من الفوضى والاضطهاد .

١٦ — **انقسام الدولة الرومانية** : فى القرن الثالث الميلادى ضعفت روما وعظم شأن القواد والجنود ، ورأى دقلديانوس ان يعالج الحال فقسم الامبراطورية الى أربعة أقسام على كل منها وال من قبله ، وجاء قسطنطين فنقل العاصمة الى بوزنطه ، وكان ذلك مهيئاً لانقسام الامبراطورية الى قسمين ، الدولة الشرقية وعاصمتها القسطنطينية ، والغربية وعاصمتها روما ، ولقد سقطت الدولة الغربية على يد القوط سنة ٤٧٦ ميلادية .

المحتويات

مقدمة المؤلف

تمهيد : ما قبل التاريخ ٥

الكتاب الأول

مصر وعلاقتها بالشرق القديم

الصحيفة

١ — مصادر تاريخ مصر ١٠
٢ — أثر العوامل الطبيعية فى حضارة مصر ١٤
٣ — الأسرات الثلاث الأولى ١٨
٤ — تدرج المقبرة ٢٥
٥ — الأسرة الرابعة ٢٩
٦ — الأسرة الخامسة ٤٤
٧ — الاقطاع ٥٠
٨ — الهكسوس ٦٠
٩ — الدولة الحديثة ٦٣
١٠ — عهد الاضمحلال ٩٢
١١ — عصر النهضة ٩٦
١٢ — حضارة قدماء المصريين ١٠٠
١٣ — علاقة مصر ببابل وأشور وكلديا ١١٠
١٤ — علاقة مصر ببنى إسرائيل ١١٥
١٥ — علاقة مصر بالفينيقيين ١١٨
١٦ — علاقة مصر بالفرس ١٢٠
تلخيص الكتاب الأول ١٢٣

الكتاب الثانى

علاقة مصر بالاغريق والروما

الصحيفة

١ — أثر العوامل الطبيعية فى حضارة الاغريق ١٣٤
٢ — مواطن الاغريق الأولى ١٣٥
٣ — هوميروس والجامعة الهلينية ١٣٧
٤ — اسبرطة وأثينا ١٤٠
٥ — مميزات الحضارة الاغريقية ١٤٩
٦ — ظهور مقدونيا ١٦٥
٧ — قيام دولة البطالسة ١٧١
٨ — كيف نشأت روما ١٧٩
٩ — نمو سلطة روما (فى إيطاليا) ١٨٢
٩ — نمو سلطة روما (قرطاجنة) ١٨٤
٩ — نمو سلطة روما (البحر المتوسط) ١٩٢
١٠ — عهد الحروب الأهلية ١٩٤
١١ — الحضارة فى عهد أغسطس ٢٠٥
١٢ — علاقة الرومان بالبطالسة ٢٠٧
١٣ — مميزات الحضارة الرومانية ٢١٢
١٤ — المسيحية ٢٢٠
١٥ — حالة مصر فى العهد الرومانى ٢٢٣
١٦ — انقسام الدولة الرومانية ٢٢٥
تلخيص الكتاب الثاني ٢٢٧